

شرحه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فيقول شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في تفسيره لسورة الفاتحة:

"اعلم أرشدك الله لطاعته، وأحاطك بحياطته، وتولاك في الدنيا والآخرة، أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ففسر السهو بالسهو عن وقتها -أي إضاعته-، والسهو عمّا يجب فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله -ﷺ- قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين

قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» فوصفه بإضاعة الوقت بقوله: «يرقب الشمس» وبإضاعة الأركان بذكره النقر، وبإضاعه حضور القلب بقوله: «لا يذكر الله فيها إلا قليلًا».

إذا فهمت ذلك فافهم نوعًا واحدًا من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب".

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد؛

فهذه رسالة مباركة وعظيمة النفع وغزيرة الفائدة للإمام المجدد المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أفردها -رحمه الله- في تفسير أعظم سورة في القرآن، تلك السورة التي

أوجب الله على العباد قراءتها في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، عدد ركعات الصلوات المفروضة والمسلم له صلة وثيقة بهذه السورة متكررة بتكرر الليالي والأيام، قرأها في حياته مرات كثيرة فرضًا ونفلًا، ولا يزال يكرر قراءة هذه السورة العظيمة في أيامه ولياليه، فالحاجة تمس إلى معرفة معانيها والوقوف على مضامينها ومعرفة الدروس التي اشتملت عليها هذه السورة العظيمة، لا أن يكون حظ المسلم منها مجرد القراءة أو مجرد إقامة الحروف، وإذا كان الله -جل وعلا- قال: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فكيف الشأن بأم القرآن؟

وهي تسمى بأم القرآن لأنها حوت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا، فالفاتحة أجملت والقرآن فصل، فهي سورة عظيم شأنها، جليل قدرها، عظيم أثرها، كبير خطرها، وقد أفردها جمع من أهل العلم بالتصنيف في بيان معانيها ودلالاتها، إضافة إلى كل من كتب في تفسير القرآن

لكن هذه الرسالة التي سطرها هذا الإمام حوت خيرًا عظيمًا في تجلية وبيان وإيضاح معاني هذه السورة مما لا تكاد تجده في مؤلف آخر لا سيما وهو -رحمه الله- جمع في كتاباته بين غزارة العلم وجمال النصح، فيتكلم بإشفاق ونصح وغَيرة وحرص بالدرجة الأولى على بيان أمر المعتقد وإيضاح مقام التوحيد الذي هو أساس الدين الذي عليه يبنى.

وعندما تكلم -رحمه الله- في هذه الرسالة المباركة تكلم عنها بربط لها بالصلاة و«**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، بل إنه جاء في الحديث تسميتها صلاة -وسيذكره المصنف رحمه الله- في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**»، المراد بالصلاة هنا: الفاتحة، سميت الفاتحة صلاةً لعظم هذا الركن في الصلاة وعظم شأن الفاتحة في الصلاة ولهذا فعلًا يحتاج المسلم حاجة ماسة إلى أن يتدبر في معاني هذه السورة ويتأمل في دلالاتها وهذا الكتاب أيها الأخ المسلم

الكريم يعينك عونًا عظيمًا على تدبر هذه السورة وينفعك نفعًا عظيمًا في فهم معانيها ومقاصدها ودلالاتها.

بدأ -رحمه الله تعالى- كتابه هذا بطريقة معروفة في مصنفاته ومؤلفاته -رحمه الله تعالى- ألا وهي الدعاء، فكثيرًا بل غالبًا ما يبدأ ويأتي أيضًا في ثنايا تصانيفه الدعاء بأدعية عظيمة جدًّا صادره من نصح وشفقة وحرص.

فها هو هنا يقول: **(اعلم ارشدك الله لطاعته وأحاطك بحياطته وتولاك في الدنيا والآخرة)** هذه ثلاث دعوات صدر بها هذه الرسالة العظيمة المباركة:

- **الدعوة الأولى:** دعوة بأن يرشدك الله إلى طاعته أي: أن يهديك ويجعلك من أهل الرشاد أي: الفهم والدراية بالطاعة التي خلق العبد لأجلها وأوجد لتحقيقها.

وقوله -رحمه الله- **(أرشدك لطاعته)** أي: أرشدك الطاعته علمًا وعملًا أرشدك لطاعته أي علمًا بها -بالطاعة- وأرشدك لطاعته أي: عملًا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- إذ لا يكون العبد من أهل الطاعة إلا بالعلم والعمل فقوله: أرشدك لطاعته يتناول الأمرين معًا.

وقوله: **(وأحاطك بحياطته)** هذه دعوة بالحفظ والكلائة والتسديد والعون على كل خير بأن يكون هذا العبد مسددًا مُعانًا محفوظًا وموفقًا، كل هذه المعاني يتناولها.

- قوله -رحمه الله- **(وأحاطك بحياطته)**؛ أي: حفظًا وتوفيقًا وتسديدًا وعونًا لكل خير.

- وقوله: **(وتولاك في الدنيا والآخرة)** أي: بما يتولى به عباده الصالحين والله -تبارك وتعالى- هو الولي المولى -سبحانه- يتولى عباده

فيحفظهم يتولى عباده فيوفقهم يتولى عباده فيعينهم ويثبتهم يتولى عباده في الدار الآخرة فيفوزون بعظيم الثواب وجميل المآب.

وقوله -رحمه الله- في صدر هذه الرسالة (اعلم) هذه كلمة تنبيه يؤتي بها بين يدي المسائل الكبار الجليلة العظيمة التي يستدعى لها الانتباه واليقظة والفهم.

وفي القرآن آيات كثيرة بدأت بذلك كقوله -جل وعلا-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٠]، في القرآن آيات كثيرة صدرت بذلك، فقوله: (اعلم) أي: تيقظ وانتبه وكن حاضر الذهن حسن الاستماع حريصًا على الاستفادة.

(اعلم أرشدك الله لطاعته، وأحاطك بحياطته، وتولاك في الدنيا والآخرة، أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله - تعالى- فيها) هذا هو (مقصود الصلاة) معنى أن هذا هو مقصود الصلاة؛ أي: شرعت لذلك وطلب إقامتها لذلك ليقبل هذا القلب على الله -سبحانه وتعالى- فإذا أقبل وجدت حقيقة الصلاة وحقيقة الصلة بين العبد وبين الله أما اذا كانت الصلاة بلا قلب فشأنها كما وصف المصنف -رحمه الله- (كالجسد بلا روح)، وجسد بلا روح لا حياة له فكيف الشأن بصلاة بلا إقبال على الله؟! يكون الجسد حاضرًا والقلب شاردًا بعيدًا غافلًا لاهيًا معرضًا منشغلًا فما أحوج المسلم إلى أن يستشعر هذا المعنى في صلاته.

إقبال القلب فيها على الله -سبحانه وتعالى- وإقبال القلب على الله هو الخشوع في الصلاة، خشوع القلب في الصلاة والخشوع مكانه القلب،

وأثره يظهر على الجوارح ليس الخشوع بسكون الجوارح مع انصراف القلب وشروده وذهابه.

أُثِر عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- كما في المصنف وغيره أنه قال: "تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن تخشع الجوارح ولا يخشع القلب".

فليس الخشوع سكون الجوارح، الخشوع خشوع القلب فيثمر خشوع الجوارح، أما من يتخشع بجوارحه وقلبه منصرف وبعيد ويصنع ذلك التخشع للناس لا لله -تبارك وتعالى- فما أبعده عن لب الصلاة وروحها وحقيقتها وكذلك من لا تخشع جوارحه بسبب عدم خشوع قلبه فهذا أيضًا بعيد عن هذا المقام العظيم.

ولهذا يؤثر عن سعيد بن المسيب -ويروى مرفوعًا ولا يصح -أنه رأى رجلًا يعبث في صلاته فقال: "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه"

فانشغال الإنسان في صلاته بالحركة واللهو والعبث هذا سببه عدم خشوع القلب لأن القلب فعلًا إذا خشع خشعت الجوارح، وهذا الذي يدعو إليه الشيخ -رحمه الله تعالى- بقوله: (إقبال القلب على الله).

كيف يُقبل القلب على الله؟

هذه الرسالة التي كتبها -رحمه الله تعالى- كتبها عونًا لتحقيق هذا المقام ولتحصيل هذا المرام ولا سيما من خلال تأمل ركن الصلاة الأعظم الذي هو قراءة الفاتحة والوقوف على معانيها ودلالاتها والتدبر في ذلك مما يكسب القلب خشوعًا وإقبالًا على الله سبحانه وتعالى.

قال: (هو إقبال القلب على الله تعالى فيها فإذا صُليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه).

معنى (**بلا قلب**) أي: بلا قلب حاضر بلا قلب خاشع، بلا قلب مخبت (**فهي كالجسد الذي لا روح فيه**).

ويدل على هذا قوله -تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

الويل: الذي هو العذاب الشديد، لمن؟

قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾، ويل للمصلين لكن ما شأن تلك الصلاة التي تُهُدِّدَ صاحبها بالويل؟ قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولهذا حق على كل مسلم أن يعرف حقيقة السهو في الصلاة الذي تُهُدِّدَ على فعله هذا التهديد ليتجنبه لئلا يكون من أهل هذا الويل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فحقٌ على كل مسلم أن يعرف ما هو هذا السهو في الصلاة الذي لصاحبه هذا الويل.

يقول -رحمه الله-: (**فُسِّر السهو بالسهو عن وقتها -أي إضاعته-**)

(فسر السهو) أي في الصلاة الذي لصاحبه هذا الويل (بالسهو عن وقتها) فسره بقوله (أي إضاعته) إضاعة الوقت.

مثلًا يصلي الفجر بعد طلوع الشمس حتى إن بعض الناس يضبط الساعة على وقت الدوام بعد طلوع الشمس فيقوم ويتوضأ ويصلي ثم يذهب، غير الذي يضبطها على وقت الدوام ولا يصلي أصلًا، لا يصلي يضبطها على وقت الدوام ووقت العمل ثم يقوم ويصلي، ثم يذهب إلى عمله ويل له، فقيل في معنى السهو أي: السهو عن وقتها أي: إضاعة الوقت والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. أي: لا بد أن تؤدى في أوقاتها المحددة، فمن أخرها عن أوقاتها المحددة فيتناوله هذا الوعيد.

قال: (والسهو عن ما يجب فيها) هذا معنى آخر للسهو في الصلاة، السهو عن ما يجب فيها أي ممّا يجب فيها، ممّا أوجبه الله -سبحانه

وتعالى- على عباده بأن لا يهتم بواجبات الصلاة، أو لا يهتم بشروط الصلاة أو نحو ذلك فيضيعها ويفرط فيها يصلي لكن لا يعتني بالواجبات مثل ما سيأتي معنا ينقر الصلاة نقر الديك، هذا صلى لكنه ضيع ما يجب في الصلاة فيشمله هذا التهديد: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

والمعنى الثالث للسهو الذي فيه هذا التهديد: **(والسهو عن حضور القلب فيها)** السهو عن حضور القلب فيها فهذا أيضًا مما يتناوله هذا التهديد يصلي بجسده بلا قلب، القلب مثلًا يكون في تجارته الدنيوية أو في أعماله الخاصة أو نحو ذلك، أحيانًا بعض الناس يصلي وقلبه مشغول بمعصية يفكر فيها ويخطط لها أو نحو ذلك.

قال: **(والسهو عن حضور القلب فيها)** إذن هذه ثلاثة معاني للسهو كلها حق وكلها يتناولها هذا الوعيد.

يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه مدارج السالكين:

"وليس السهو عنها تركها وإلا لم يكونوا مصلين وإنما هو السهو عن واجبها إما عن الوقت كما قال ابن مسعود وغيره وإما عن الحضور والخشوع والصواب أنه يعم النوعين".

يشمل هذا ويشمل هذا، يشمل إضاعة الوقت وإضاعة الواجب، وإضاعة الإقبال على الله -سبحانه وتعالى- فيها وحضور القلب والخشوع في الصلاة.

قال: (ويدل على ذلك) الإشارة في قوله: (ذلك) راجع إلى ماذا؟ إلى المعاني الثلاثة كلها (ويدل على ذلك) أي: أن الوعيد يتناول هذه الأمور الثلاثة الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله -ﷺ- قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق» كررها ثلاثًا تحذيرًا وإنذارًا، يكررها تحذيرًا من أن يصلي الإنسان

صلاة المنافق هذه يقول -ﷺ- صفة صلاة المنافق فاحذرها وإياك وإياها «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق» وعندما تتكرر هذه الكلمة ثلاث مرات، الذهن مباشرة يتساءل ما هي صلاته؟ والقلب الصادق يتساءل حتى يتقي تلك الحال أو تلك الصفة التي هي صفة صلاة المنافق.

قال: (تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا)

بماذا وصف صلاة المنافق؟ بثلاث صفات

- الصفة الأولى: أنه يؤخر الصلاة، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان أي: عندما تدنو من الغروب وتوشك أن تغرب هذه الصفة الأولى يجعل الصلاة في ذلك الوقت.

- **الصفة الثانية:** قام فنقر أربعًا، أربعًا هنا صلاة ماذا؟ صلاة العصر هذه الصفة الثانية النقر يصليها نقرا ينقر الصلاة نقرأ مثل نقر الغراب الدم كما جاء التشبيه في حديث آخر مجرد ما أن يلمس رأسه الأرض يرفعه مباشرة كأن عمله في الصلاة نقر الأرض برأسه.

- **الصفة الثالثة:** لا يذكر الله فيها إلا قليلًا فيها أي: في صلاته.

قوله: «**يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان**»،

قال النووي -رحمه الله-: "والمراد أنه يحاذيها بقرنيه -أي الشيطان- عند غروبها -أي الشيطان حقيقة يحاذي الشمس بقرنيه عند غروبها- وكذا عند طلوعها -وهذا وقت نهي عن الصلاة- لأن الكفار يسجدون لها حينئذ فيقارنها - أي الشيطان- ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له ويخيّل لنفسه وأعوانه أنهم إنما يسجدون له".

فالمنافق يرقب الشمس حتى تدنو وتوشك من الغروب فيصليها تلك الصلاة ينقرها نقرًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا.

قال -رحمه الله تعالى-: **(فوصفه بإضاعة الوقت وصف المنافق بإضاعة الوقت)** بقوله: **«يرقب الشمس»** هذا إضاعة لوقت الصلاة، وبإضاعة الأركان بذكره النقر، وبإضاعة حضور القلب بقوله: **(لا يذكر الله فيها إلا قليلًا)**.

المعاني الثلاثة في هذا الحديث التي ذكرت في السهو في الصلاة الذي تُهُدِّدَ صاحبه بالويل:

١. إضاعة الوقت.

٢. وإضاعة الواجبات والأركان.

٣. وإضاعة الخشوع الذي هو لب الصلاة وروحها.

لما نبه -رحمه الله تعالى- على مقام الخشوع وحضور القلب ومكانته من الصلاة وحاجة المصلي إليه حتى تكون صلاته مكفرة ومضاعف أجرها وثوابها ومثمرة للآثار العظيمة والثمار المباركة لما نبه على أهمية هذا الإقبال بالقلب في الصلاة، قال:

(إذا فهمت ذلك فافهم نوعًا واحدًا من الصلاة) والصلاة الأعمال التي فيها أنواع: فيها تلاوة وفيها أذكار، وفيها دعاء وفيها ركوع وسجود ..أعمال متعددة.

يقول: **(فافهم نوعًا واحدًا من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة المكفِّرة للذنوب)**

انتبه هنا -رعاك الله- إلى قوله: **(لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب)** يبيّن لك غرضه من هذه الرسالة ومقصده من هذا الكتاب -رحمه الله- أن يعاون القارئ

والمسلم والمطلع على هذا الكتاب على أن تكون صلاة العبد صلاة مقبولة صلاة مضاعفة صلاة مكفرة للذنوب.

وقد جاء في الحديث في الصحيحين عن النبي -ﷺ- أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**». [صحيح البخاري].

وجاء أيضًا في الصحيح عن النبي -ﷺ-: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**». [صحيح مسلم].

فالشيخ -رحمه الله- يبيّن في هذه الرسالة معاني هذه السورة ودلالاتها ومقاصدها والدروس المستفادة منها ليكون ذلك عونًا للمسلم على أن تكون صلاته صلاة مقبولة مضاعفة مكفرة للذنوب.

قال -رحمه الله-: (ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الذي في صحيح مسلم قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «يقول الله -تعالى-: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». انتهى الحديث).

فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله وهو من أولها إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصف للعبد دعاء يدعو به لنفسه، وتأمل أن

الذي علّمه هذا الدعاء هو الله -تبارك وتعالى-، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه -سبحانه- من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء، إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب تبيّن له ما أضاع أكثر الناس.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له.....فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)

قوله: (يقول الله تعالى): هذا حديث قدسي

فقوله: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي) هذا كلام الله -سبحانه وتعالى- يرويه النبي ﷺ عن ربه.

قوله: (قسمت الصلاة) المراد بالصلاة الفاتحة لأنها ركن الصلاة الأعظم مثل قول النبي -ﷺ-: «**الحج عرفة**» وقوله -ﷺ-: «**الدين النصيحة**».

قال: «قسمت الصلاة» فسميت الفاتحة صلاة لعظم مكانها من الصلاة وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب كما صح بذلكم الحديث عن رسول الله -ﷺ-، فقوله: «قسمت الصلاة» هذا يفيد ركنية الفاتحة في الصلاة وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

قوله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الفاتحة سبع آيات، «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» يقول -رحمه الله- في مؤلف آخر له، يقول: "أي ثلاث آيات ونصف للرب وثلاث آيات ونصف للعبد".

(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) أي: ثلاث آيات ونصف للرب ثناء على الله وتمجيد وتفويض وحمد هذا نصف الصلاة الأول لله ثناء.

والنصف الآخر دعاء للعبد حاجات والتجاءات وسؤالات يتوجه العبد إلى ربه يطلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يمن عليه بها.

سبحان الله! الرجل الذي جاء للنبي -ﷺ- ويشتكي أنه لا يحسن الفاتحة أرشده إلى أن يقول: "سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر" وأخبره أنها تجزئه، ماذا قال الرجل؟ قال "هذا لربي وماذا لي؟" فعلمه دعوات يدعو الله بها، هذا نظير ما في السورة -سورة الفاتحة- سورة الفاتحة لله نصفها الأول، وللعبد نصفها الآخر أو الأخير، فالنصف الأول من الفاتحة لله ثناء وحمد وتمجيد وتعظيم لله -سبحانه وتعالى- والنصف الآخر للعبد دعاء وسؤال الله -جل وعلا- وطلب منه جل وعلا.

قال: **(ولعبدي ما سأل)** وهذا وعد من الكريم -سبحانه وتعالى- بأنه أجاب عبده وأعطاه ما سأل فهي دعوات مستجابات، **(ولعبدي ما**

سأل) أي: هذه الدعوات التي في الفاتحة مستجابة ولعبدي ما سأل، يثني ويمجد ويعظم ربه -سبحانه وتعالى- ثم يدعو ويسأل، (له ما سأل) للعبد ما سأل ففيه أنها دعوات مستجابات.

ومن المؤسف في كثير من الناس أو عوام المسلمين أنه يجهل وهو يقرأ الفاتحة أنها دعاء، يجهل أنه دعاء ولا يستحضر أن هذا دعاء ولا يستحضر أنه يسأل الله -سبحانه وتعالى- وإنما يقرأ كلام، يقرأ في هذا الموضع يرجى ثوابه لكن لا يستحضر أنه دعاء.

ولهذا يقول -رحمه الله تعالى- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في بعض كتبه: "ينبغي أن ينبه العوام أن هذا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحتاج العوام أن يُنبهوا إلى أن هذا دعاء حتى يقرأ

داعيًا، سائلًا، طالبًا، مستحضرًا أنه يدعو الله ويطلب هذا المطلب العظيم.

قال: (ولعبدي ما سأل، فاذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي)

إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا حمد وثناء على الله -سبحانه وتعالى- معه حب الله جل وعلا.

(فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي) والثناء هو: الزيادة والتوسع في الحمد وذكر أوصاف المحمود.

فإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يكون بذلك أثنى على الله -سبحانه وتعالى- أن يوسع في هذا المقام.

فإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: «مجدني عبدي» والتمجيد معناه السعة والزيادة.

فإذن العبد بهذه الكلمات ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كلها ثناء على الله وزيادة في الثناء وزيادة في تعظيم الله -سبحانه وتعالى- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

فإذا قال: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» لأن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذا لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ للعبد يطلب عون من الله ومدد فهو يتضمن معنى الطلب، طلب العون ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نطلب منك العون نطلب منك يا الله أن تعيننا.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه الغاية ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الوسيلة لتحقيق تلك الغاية، لا يمكن أن يحقق العبد الغاية التي هي العبودية إلا بعون الله -

سبحانه وتعالى- ولهذا قال النبي -ﷺ- لمعاذ: «**لا تدعنّ دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» [صحيح أبي داوود].

قال: «فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

كلمة عبدي، قول الله -عز وجل-: «**عبدي**» كم مرة تكررت؟

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله حمدني عبدي» هذه واحدة.

«إذا قال ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله أثنى علي عبدي» هذه الثانية.

«إذا قال ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال مجّدني عبدي» هذه الثالثة.

عندما يقرأ العبد الفاتحة كم يحظى بهذه الكلمة عبدي مع كل قراءة الفاتحة؟ ست مرات هذا مقام عظيم جدًّا ست مرات الله -عز وجل- يقول عبدي أثنى علي عبدي، حمدني عبدي، مجدني عبدي هذا لعبدي كل مرة تقرأ الفاتحة هنيئًا لك هذا الذكر الذي هو أعظم ما يكون.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] تذكر الله وتثني على الله وتمجد الله - عز وجل- فتحظى بذلك هنيئًا لك ست مرات.

قال -رحمه الله تعالى-: (فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان)

(فإذا تأمل العبد هذا) أي: هذا الحديث

(وعلم أنها نصفان) أنها أي: الفاتحة نصفان؛

(نصفها الأول لله قال: نصف لله وهو أولها إلى قوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ ونصف للعبد من قوله: ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ إلى تمامها ونصف للعبد

دعاء يدعو به لنفسه يقول: وتأمل أن الذي علمه هذا الدعاء هو الله تعالى)

انتبه الآن للفوائد الثمينة التي يتحفك بها هذا الإمام –رحمه الله –:

- **أولًا:** تأمل أن الفاتحة نصفان؛ نصف لله ثناء عليه ونصف لك أيها العبد دعاء تدعو الله به هذه واحدة.

- **أيضًا** تأمل أن الذي علمك هذا الدعاء هو الله تبارك وتعالى.

(وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة) تكراره في كل ركعة في الصلاة المفروضة سبعة عشر مرة إذن أوجب الله عليك وافترض عليك أن تدعو بهذا الدعاء في اليوم والليلة سبعة عشر مرة وهذا لا يوجد في أي دعاء آخر ولهذا كان هذا الدعاء أعظم الأدعية على الإطلاق وأفضلها، أعظم الأدعية على الإطلاق طلب العون على العبادة هذا أعظم الدعاء بدءًا من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ إلى تمام

السورة فهذا أعظم الدعاء ولهذا افترضه الله -سبحانه وتعالى- وأوجبه على عباده هذا الوجوب المتكرر في اليوم والليلة سبعة عشر مرة.

(وأنه -سبحانه- من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب تبيّن ما أضاع أكثر الناس) إذا تأمل كذا وكذا تبيّن ما أضاع أكثر الناس قوله: (ضمن إجابة هذا الدعاء) من أين أخذه؟ «ولعبدي ما سأل» هذا ضمن الله -سبحانه وتعالى- في هذا الحديث القدسي بإجابة هذا الدعاء فأنت كل مرة تدعو الله بهذا الدعاء في سورة الفاتحة تدعو بدعاء ضمن الله إجابته فهو دعاء مستجاب، يبقى العناية بحضور القلب استحضار أنك تدعو الله الصدق في السؤال والطلب أما الدعاء من حيث هو دعاء مستجاب ضمن إجابة هذا الدعاء، يقول -رحمه الله-: (إذا دعاه بإخلاص

وحضور قلب) أما كون الإنسان يقرأ ولا يكون قلبه حاضرًا ولا يستحضر أصلًا أنه يدعو الله عندما يقول ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقيمَ﴾ فهذا لا يتناوله هذا الموعود لأنه لا بد من الإخلاص وحضور القلب.

قال: (تبيّن ماذا أضاع أكثر الناس) أي: أن كثير من الناس غافلون عن هذه المعاني العظيمة والمقاصد الجليلة وهذا الحضور حضور القلب والإخلاص في الالتجاء والدعاء والطلب من الله سبحانه وتعالى.

قال: (قد هيئوك لأمر لو فطنت له....فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)

أنت مهيئ لمقامات عظيمة ومنازل رفيعة ودرجات عالية فلا تحرم نفسك منها ولا تفوت عليها هذا الخير العظيم والفضل العميم، أقبل على الله واغنم لهذا الخير (قد هيئوك لأمر لو فطنت له....فاربأ بنفسك

أن ترعى مع الهمل) وهذا بيت عظيم جدًّا حقيقة في مثل هذا الزمن جدير بأن يكون هذا البيت حاضر في الذهن، الآن المغريات كثيرة جدًّا التي تأخذ الإنسان إلى هذا السبيل الذي حذر منه أن يرعى مع الهمل كم هي الآن الفتن التي تجر الإنسان إلى أن يرعى مع الهمل.

قال -رحمه الله-: **(قد هيئوك لأمر لو فطنت له....فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)** في بعض النسخ لتفسير الفاتحة للشيخ -رحمه الله- أُضيف إلى هذا البيت ثلاثة أبيات قال:

قال قد هيأوك أمر لو فطنت له...فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وأنت في غفلة عما خلقت له...وأنت في ثقة من وثبة الأجل

فزك نفسك مما قد يدنسها واختر لها...ما ترى من خالص العمل

أأنت في سكرة أم أنت منتبهًا...أم غرك الأمن أم ألهيت بالأمل

وهذه النسخة التي بيدي من تفسير الفاتحة للشيخ -رحمه الله- هي بتحقيق الدكتور فهد الرومي وضمنها -جزاه الله خيرًا- فوائد ثمينة في التعليق وبعض النقول فسأورد ما تيسر منها في ثنايا التعليق على هذه الرسالة ومن ذلكم نقل نفيس جدًّا عن كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم -رحمه الله تعالى- يقول ابن القيم -رحمه الله- مع شيء من الاختصار:

"وها هنا عجيبة تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن من عجائب الأسماء والصفات، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه يرى لكل اسم وصفة موضعًا من صلاته ومحلًا منها فإنه إذا انتصب قائمًا بين يدي الرب -تبارك وتعالى- شهد بقلبه قيوميته وإذا قال: الله أكبر شهد كبرياءه...وإذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد آوى إلى ركنه الشديد واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه

ويباعده عن قربه ليكون أسوأ حالًا فإذا قال: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله: «حمدني عبدي» فإذا قال: ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ انتظر الجواب بقوله: «أثنى علي عبدي» فإذا قال: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ انتظر جوابه: «مجدني عبدي».

فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه: عبدي ثلاث مرات فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم النفوس لاستطيرت فرحًا وسرورًا بقول ربها وفاطرها ومعبودها: «حمدني عبدني» و«أثنى علي عبدي» و«مجدني عبدي»...

ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة التي هي أصول الأسماء الحسنى وهي: الله والرب والرحمن، فإذا قال: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ فهنا شهد المجد الذي لا يليق بسوى الملك الحق المبين فيشهد ملكًا قاهرًا قد دانت له الخليفة وعنت له الوجوه وذلت لعظمته

الجبابرة وخضع لعزه كل عزيز فيشهد بقلبه ملكًا على عرش السماء مهيمنًا لعزته تعنو الوجوه وتسجد...

فإذا قال: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ ففيها سر الخلق والأمر والدنيا والآخرة وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل فأجل الغايات عبوديته وأفضل الوسائل إعانته **-انتبه لهذه الفائدة-** أجل الغايات عبوديته ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ وأفضل الوسائل إعانته ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ -فلا معبود يستحق العبادة إلا هو ولا معين على عبادته غيره- ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ فعبادته أعلى الغايات وإعانته أجل الوسائل...وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد: وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يُعبد بألوهيته ويُستعان بربوبيته ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته -الله الرب الرحمن- فكان

أول السورة ذكر اسمه: الله والرب والرحمن تطابقًا لأجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته -العبادة تتعلق باسمه الله، الإعانة اسمه الرب، الهداية باسمه الرحمن- وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله لا يعين على عبادته سواه ولا يهدي سواه ثم يشهد الداعي بقوله: ﴿اهدِنَا الصِّراطَ المُستَقيمَ﴾ شدة فاقته وضرورته إلى هذه المسألة التي ليس هو إلى شيء أشد فاقة وحاجة منه إليها البتة فإنه محتاج إليه في كل نفس وطرفة عين...ثم بيّن أن أهل هذه الهداية -أي إلى الصراط المستقيم- هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ودون الضالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم.

فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم فسبيل المنعم عليه مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علمًا وعملًا، فلما فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع على ذلك بطابع

من التأمين يكون كالخاتم له وافق فيه ملائكة السماء وهذا التأمين من زينة الصلاة كرفع اليدين الذي هو زينة الصلاة واتباع للسنة وتعظيم أمر الله وعبودية اليدين وشعارالانتقال من ركن إلى ركن".

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (وها أنا أذكر لك بعض معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك، لأن ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب ليس بعمل صالح كما قال -تعالى-: ﴿يَقولونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فى قُلوبِهِم﴾ [الفتح: ١١] وأبدأ بمعنى الاستعاذة ، ثم البسملة، على طريق الاختصار والإيجاز، فمعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ألوذ بالله وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من شر هذا العدو، أن يضرني في ديني أو دنياي، ويصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، لأنه أحرص مايكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو

قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعة إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم﴾ [الأعراف: ٢٧] فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به كان هذا سببا في حضور القلب فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه أكثر الناس).

لما بين الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في تقدمة هذه الرسالة أهمية إقبال القلب على الله -عز وجل- في الصلاة وأن صلاة بلا إقبال قلب كروح بلا جسد واستدل بقول الله -عز وجل-: ﴿فَوَيلٌ لِلمُصَلّينَ ۝٥ الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

وذكر -رحمه الله تعالى- أن من معاني السهو الذي تهدد فاعله بالويل أن لا يقبل بقلبه على الله -عز وجل- في صلاته وإنما يصلى ببدنه

حركات يقوم بها البدن بدون قلب أو بدون حضور قلب أو بدون إقبال بقلبه على الله سبحانه وتعالى.

لما بين ذلك أتبعه بمكانة الفاتحة، فاتحة الكتاب من الصلاة وبيّن -رحمه الله- أن العناية بالمعاني ولا سيما معانى آيات الفاتحة وقراءتها بتمعن وتدبر وتأمل نافع جدًّا في تحقيق هذا المقصد الذي هو إقبال القلب على الله في الصلاة ولهذا جدير بالمسلم بعد أن يكبر تكبيرة الإحرام ويستفتح بالاستفتاح المشروع ثم يتعوذ ويبسمل ويبدأ بالفاتحة أن يُعنى بتأمل المعاني والتفقه في الدلالات، لا أن يقول كلامًا بلسانه ولا يعي معناه في قلبه ولا يستحضر دلالته أو لا يفقه دلالته فمن هذا المنطلق أخذ -رحمه الله تعالى- يشرح ويبيّن معاني ودلالات سورة الفاتحة باختصار وإيجاز - ولهذا قال -رحمه الله-:

(وها أنا أذكر لك بعض معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب) انتبه لهذا: يبيّن -رحمه الله- معاني هذه السورة من أجل أن يصلي المصلي بحضور قلب لأن استحضار المعاني معانى الآيات ودلالاتها يعينك على حضور قلبك وخشوعك بين يدي ربك -سبحانه وتعالى- في صلاتك.

قال: (لعلك تصلي بحضور قلب، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك) أي هذه الآيات التي تتلوها بلسانك يكون قلبك على علم بمعناها وفقه بمدلولها لأن ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب ليس بعمل صالح إنما يكون عملًا صالحًا بحضور القلب كما قال -تعالى-: ﴿يَقولونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ في قُلوبِهِم﴾ [الفتح: ١١].

ذكر ذلك ذمًا للمنافقين وبيانًا لسوء حالهم ﴿يَقولونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ في قُلوبِهِم﴾ إذن هذا ذم أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

قال: (وأبدأ بمعنى الاستعاذة، ثم البسملة، على طريق الاختصار والإيجاز) بدأ -رحمه الله- أولًا: ببيان معنى الاستعاذة والله -جل وعلا- أمر عند قراءة القرآن بالاستعاذة ﴿فَاستَعِذ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ﴾ [النحل: ٩٨]

فما هي الاستعاذة؟ ما معنى قول المصلي أو التّالي للقرآن بين يدي التلاوة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)؟

قال: (فمعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ألوذ بالله وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من شر هذا العدو) إذن الاستعاذة اعتصام بالله والتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- ولوذ به -عز وجل- وطلب منه، الاستعاذة طلب، طلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يقي عبده من هذا العدو وأن يكفيه شره وأن يسلمه من كيده ووساوسه من شر هذا العدو، أن يضرني في ديني أو دنياي وهذا تنبيه من الشيخ -رحمه الله

تعالى- إلى أن الشيطان يريد أن يفسد على العبد الدنيا والآخرة يريد أن يفسد على الإنسان دنياه وأخراه، دنياه بأن يوقعه في أعمال يترتب عليها ضياع ماله، ضياع صحته، ضياع عقله وفكره، وأيضًا في أخراه ودينه بأن يعمل أعمالًا تبعده عن الله وعن الفوز بثوابه والنجاة من عقابه.

قال: **(ويصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه)**

والشيطان أيضًا يعمل عمله في هذين الأمرين وهو قاعد كما جاء في الحديث لابن آدم بأطرقه «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه**» أي: قاعد له في كل طريق يسلكه إن كان طريق خير صده عن المضي فيه وإن كان طريق شر دفعه إليه دفعًا وأزه إليه أزًا فهو يصد عن فعل الأوامر ويحث على فعل النواهي.

قال: (لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك) ولهذا شُرِع لنا في الصلاة أن نتعوذ من هذا العدو شُرِع لنا أذكار بإذن الله سبحانه وتعالى تسلم لك صلاتك من هذا العدو وهي لعلها تجتمع في ثلاث، كلها لها فائدة عظيمة بالسلامة من هذا العدو:

- الموضع الأول: عندما تخرج من بيتك لتصلي «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هديت، وكفيت، ووقيت فيتنحى عنه الشيطان ويقول شيطان آخر: كيف لك برجل هدي وكفي ووقي؟**» فلا تنسى عند الخروج من البيت بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله.

- **الثانية:** عند دخول المسجد تتعوذ بالتعوذ المأثور عن نبينا، «**من خرج من بيته إلى المسجد فقال أعوذ بالله العظيم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ربي الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال له الملك كفيت ووقيت**» [الترغيب والترهيب].

- **والثالثة:** بعد أن تكبر تكبيرة الإحرام وتستفتح تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذه الثلاث كلها التجاءات إلى الله -سبحانه وتعالى- ليقيك من هذا العدو ولتسلم في صلاتك منه لا يقربك ولا يكون له عليك طريق لأنك في حصن حصين وحرز متين بخلاف من غفل عن هذه التعوذات وهذه الالتجاءات ﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمنِ نُقَيِّض لَهُ شَيطانًا فَهُوَ لَهُ قَرينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

قال: (لأنه أحرص مايكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك وذلك لأنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم﴾) [الأعراف: ٢٧].

عدو يراك وأنت لا تراه قال بعض السلف عدو يراك ولا تراه، شديد المؤنة ليس هذا العدو شخص يقابلك وترى شخصه فتدفعه أو تطرده أو ..إلخ أنت لا تراه لكنه يراك، إذن لا حيلة لك فيه عدو يراك ولا تراه لا حيلة لك فيه أبدًا إلا أن تستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- منه وتلتجأ إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يقيك من هذا العدو.

قال: (وذلك أنه لا حيلة لك في دفعة إلا بالاستعاذة بالله لقوله - تعالى-: ﴿إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم﴾ [الأعراف: ٢٧] فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به كان هذا سببًا في

حضور القلب) كان هذا سببًا في حضور قلبك لأن قلبك بهذه الاستعاذة، ابتعد عنه الشيطان فكان هذا الابتعاد من الشيطان عن قلبك سببًا لحضور قلبك في صلاتك إذن من أهم المهمات في الخشوع في الصلاة أن تستعيذ بالله الشيطان لأن الشيطان وسواس خناس إن غفلت عن ذكر الله وسوس وإن ذكرت الله خنس أي: ابتعد عنك.

قال: (فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه أكثر الناس) وأهل العلم -رحمهم الله- فيما يتعلق بالأذكار المأثورة والأدعية المشروعة يقولون إن صدرت من القائل مع عدم فقه في المعنى وعدم معرفة في الدلالة صارت عديمة التأثير لأنه لا يفقه ما يقول، يقول شيئًا لا يدري ما هو فلم تتحقق العبودية منه لأنه لا يفهم ولا يفقه ما يقول ولهذا ينبه على ذلك بقوله (ولا تقلها باللسان فقط) أي : بل قلها بلسانك وقلبك معتصمًا بالله ملتجئًا إليه سبحانه.

قال – رحمه الله–: (وأما البسملة فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك (بسم الله) لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينًا بالله، متبركًا باسمه –تبارك وتعالى–، هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين وأمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينًا به، متبرئًا من الحول والقول كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير).

قال: (وأما البسملة) أي معنى البسملة والمراد بها، فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك باسم الله.

قوله: (أدخل في هذا الأمر) لأن البسملة تشرع في أمور كثيرة، يشرع لك عند قراءة القرآن أن تبسمل، دخول المسجد أن تبسمل، الخروج من البيت أن تبسمل، دخول البيت أن تبسمل، ركوب الدابة تبسمل، أكل الطعام تبسمل، عند الصيد تبسمل، في مقامات كثيرة تشرع

البسملة، إذن أنت عندما تبسمل في كل مقام معنى قولك: (بسم الله) أي: أدخل في هذا الأمر قراءةً، كتابةً، صلاةً، دعاءً، خروجًا، دخولًا، إلى غير ذلك أدخل في هذا الأمر باسم الله لا بحولي ولا بقوتي.

إذن البسملة فيها براءة من الحول والقوة، لا حول لي ولا قوة إلا بالله، لا حول لي ولا قوة في أن أصلي أو أقرأ أو أخرج أو أدخل أو آكل أو أشرب أو أركب أو غير ذلك إلا بالله -سبحانه وتعالى- فهذا فيه أن الإنسان يتبرأ من الحول والقوة وأنه لا حول له ولا قوة في شيء إلا بالله ولهذا تشرع بين يدي الأمور «بسم الله» وهي كلمة استعانة والتجاء إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: **(لا بحولي ولا بقوتى بل أفعل هذا الأمر مستعينًا بالله)** والباء في «بسم الله» باء الاستعانة أصلي بسم الله، أقرأ بسم الله، أكتب بسم الله،

آكل بسم الله، كل أمورك لا تفعلها بحول منك ولا بقوة ولكن باستعانتك بالله والتجاءك إليه ومده وعونه سبحانه وتعالى.

قال: (متبركًا باسمه تبارك وتعالى) أيضًا في ذكر البسملة بين يدي الأمور من قراءة أو غير ذلك حلول البركة، يبارك الله لك في هذا الذي ذكرت اسمه -جل وعلا- عليه وبدأته بذكر اسم الله -تبارك وتعالى- عليه، فهذا من أسباب حلول البركة.

قال: (هذا في كل أمر تسمى في أوله من أمر الدين وأمر الدنيا) البسملة تشرع في أمور الدين وأمور الدنيا -مثل ما مر معنا قريبًا- عندما تأكل، تشرب، تصيد، هذه أمور دنيوية تبسمل عندما تقرأ القرآن تتوضأ إلى غير ذلك من الأمور الدينية أيضًا تبسمل.

قال: (هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين وأمر الدنيا فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينًا به متبرئًا من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب) الآن هذا السبب الثاني لحضور لقلب، الأول التعوذ ينطرد عنك الشيطان فيحضر القلب، البسملة فيها اللجوء إلى الله والاستعانة به فهذا أكبر عون أيضًا على حضور القلب وطرد الموانع من كل خير، الموانع التي تأتي وتحول بين الإنسان وبين الخيرات.

قال -رحمه الله-: (﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر من الآخر رحمة).

قال: ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ هذان الاسمان وردا في البسملة - بسم الله الرحمن الرحيم-

-قال: (اسمان مشتقان من الرحمة) لأن أسماء الله كلها ليس فيها اسم جامد كلها مشتقة ومعنى مشتقة: أي كل اسم منها دال على صفة، الرحمن الرحمة، السميع السمع، العليم العلم، العزيز العزة، وهكذا فـ(﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة) أي: كل من هذين الإسمين دال على ثبوت الرحمة صفة لله لكن ما يدل عليه الاسمان من ثبوت الرحمة صفة لله ليس معنى متكررًا يعنى ليس هذين الاسمان يدلان على معنى متكرر أو معنى واحد، كل من الاسمين له دلالة تتعلق بالرحمة لكن الدلالة ليست هي من قبيل التكرار لكن كل من الاسمين له دلالة، دلالة تتعلق بالرحمة وأحسن ما قيل في ذلك أن

﴿الرَّحمنِ﴾ -وهو على وزن فعلان- وهو يدل على السعة يدل على الرحمة الواسعة التي هي صفة قائمة بالله سبحانه وتعالى.

وأما ﴿الرَّحيمِ﴾ فهو الذي يدل على تعلقها بالمرحوم مثل ما جاء ﴿وَكانَ بِالْمُؤْمِنينَ رَحيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ولم يأت رحمانًا فإذن الرحمن يدل على ما قام بالله من صفة الرحمة، والرحيم يدل على تعلق هذا الوصف أو أثر هذا الوصف في المخلوق (قال: أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة) هذا الأثر يروي عن ابن عباس أورده أو رواه البيقهي في الأسماء والصفات وفي إسناده إلى ابن عباس، الكلبي وهو متروك الحديث فقوله هما اسمان هذا يروى عن ابن عباس لكن في سنده إليه كلام، وأيضًا من جهة ذكر الرقة، رقيقان استشكله بعض أهل العلم كما أشار إلى ذلك ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره

عندما أورد هذا الأثر منسوبًا أو معزوًا إلى ابن عباس، ومن جهة أيضًا ما قد يشعره هذا المعنى من التكرار في مدلول الاسمين، جعل لكل منهما معنى الآخر فيكون هذا فيه شيء من التكرار، وعلى كل، الأمر كما قال الشيخ -رحمه الله- ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة كل منهما دال على ثبوت الرحمة صفة لله -تبارك وتعالى- أما الرحمن فيدل على ما قام بالله من ذلك والرحيم يدل على أثر أو تعلق ذلكم بالمرحوم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(وأما الفاتحة فهي سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، فأولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله الثناء باللسان الثناء بالفعل الذي يسمى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر،

وقوله: على الجميل الاختياري أي الذي يفعله الإنسان بإرادته، وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحًا لا حمدًا، والفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنى وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام؛ فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال -تعالى-:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾. والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله (الْحَمْدُ) للاستغراق، أي جميع أنواع الحمد لله لا لغيره فأما الذي لا صنع للخلق فيه مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح، وأما ما يحمد عليه المخلوق مثل ما يثنى به على الصالحين والأنبياء والمرسلين، وعلى من فعل معروفًا خصوصًا إن أسداه إليك، فهذا كله لله أيضًا بمعنى أنه، خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه وقواه عليه، وغير ذلك من أفضال الله الذي لو يختل بعضها لم يحمد ذلك المحمود، فصار الحمد لله كله بهذا الاعتبار).

الشرح:

قال -رحمه الله تعالى-:

(وأما الفاتحة فهي سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد) وقد مر معنا الحديث - قد أورده المصنف وهو في صحيح مسلم - «**قسمت الصلاة** -أي الفاتحة- **بيني وبين عبدي نصفين**» أي: أن سورة الفاتحة مقسومة بالنصف بين العبد وبين الرب وآيات الفاتحة سبع آيات

إذن كيف تكون القسمة؟ وهى نصفين؟ الفاتحة نصفين-نصف للرب وهو أولها ونصف للعبد وهو آخرها، كيف تكون القسمة وهى سبع آيات؟ معنى ذلك أن الثلاث آيات الأول ونصف الآية الرابعة لله، ثم نصف الآية الرابعة والثلاث آيات الأخيرة للعبد.

وثمة خلاف بين أهل العلم هل البسملة داخلة في الفاتحة هل هي آية من سورة الفاتحة أو لا؟ هذا خلاف بين أهل العلم معروف والشيخ -رحمه الله- اختياره أن البسملة ليست آية ومن الأدلة التي استدل بها

على أن البسملة ليست آية من الفاتحة الحديث نفسه «**قسمت الصلاة** -أي الفاتحة- **بيني وبين عبدي نصفين**» فإذا قال العبد ماذا؟ الحمد لله، ما قال إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم فإذا قال العبد الحمد لله فهذا مما استدل به على أن الفاتحة وآياتها سبع آيات باتفاق بين أهل العلم تبدأ بالحمد لله رب العالمين وهذا اختيار الشيخ -رحمه الله تعالى- واذا كان كذلك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه ثلاث آيات ونصف لله ثم ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ثلاث آيات ونصف للعبد،

لهذا يقول فأولها أي: أول الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنبيهًا منه الى هذا الاختيار أن أول الفاتحة هو الحمد جاء حديث في تقرير

هذا الأمر نصًا لكن في سنده كلام عند الطبراني في الأوسط عن أُبيّ قال: «**قرأ رسول الله -ﷺ- فاتحة الكتاب ثم قال: قال ربكم: ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات ثلاث لي وثلاث لك وواحدة بيني وبينك فأما التي لي فـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ والتي بيني وبينك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منك العبادة وعلي العون لك وأما التي لك ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾**» لكن في سنده سليمان بن أرقم متروك وبه أعله الهيثمي في مجمع الزوائد.

قال: **(فأولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾)** بدأ -رحمه الله- الآن يوضح معاني سورة الفاتحة.

قال: **(فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري)** هذا تعريف للحمد من حيث هو **(الثناء باللسان على الجميل الاختياري)**

قال: (فأخرج بقوله الثناء باللسان الثناء بالفعل الذي يسمى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر) لا يدخل في الحمد، الحمد لا بد فيه من حركة اللسان، الحمد باللسان ومعه القلب هذا هو الحمد أن يثني بلسانه ولهذا سيأتي أن الشكر أعم، الشكر يكون بالعمل ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ بينما الحمد لا يكون الا باللسان لسان المقال.

(وقوله: على الجميل الاختياري) أي: الثناء على الإنسان يكون على الجميل الاختياري، الحمد حمد الإنسان يكون على الجميل الاختياري قال: (أي الذي يفعله الإنسان بإرادته) نعمة كان أو غيرها مثلًا يحمد الإنسان على إحسانه هذه نعمة ويحمد الإنسان على مثلًا قوته أو شجاعته أو إقدامه أو نحو ذلك ولهذا قالوا أي: الذي يفعله الإنسان بإرادته نعمة كان أو غيرها يقال حمدته على إنعامه أو حمدته على شجاعته وقوته.

قال: (وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحًا لا حمدًا) يعني عندما يثني على إنسان لجماله أو لحسن مثلًا صورته أو طوله أو شيء من هذا القبيل هذا يسمى مدحًا هذا توضيح الشيخ للحمد من حيث هو معناه.

قال: (والفرق بين الحمد والشكر) وأيضًا هذا التعريف الذي ذكره الشيخ -رحمه الله- للحمد من حيث هو ولهذا لما عرفه قال: (أي الذي يفعله الانسان بإرادته) هذا يوضحه لأنه يتكلم عن الحمد من حيث هو.

ابن تيمية يقول في الفتاوى يقول "وهل الحمد على كل ما يحمد به الممدوح وإن لم يكن باختياره أو لا يكون الحمد إلا على الأمور الاختيارية كما قيل في الذم؟ قال: فيه نظر ليس هذا موضعه" الذم يذم الإنسان على الفعل الذي فعله باختياره لكن الأمر الذي ليس له

اختيار فيه لا يذم عليه فهل الأمر كذلك في الحمد أو لا؟ قال: "فيه نظر".

قال -رحمه الله-: (والفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن) وهذا تنبيه مهم فيما يتعلق بحمد الله وأن الله -سبحانه وتعالى- يحمد على الإحسان ويحمد على المحاسن، يحمد على إنعامه وإكرامه وتفضله وإنعامه وجوده وعطائه وأيضًا في الوقت نفسه يحمد على أسماءه وصفاته ويحمد على تنزهه مثلًا عن صفات النقص ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فهذا يحمد -سبحانه وتعالى- عليه فالحمد فيما يتعلق بالله حمد على الإحسان وحمد على المحاسن.

- **الإحسان**: الذي هو الإنعام والتفضل

- **والمحاسن**: التي هي صفات الكمال ونعوت الجلال التي اتصف بها سبحانه وتعالى.

قال: (أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور) إذن لاحظ هذا الفرق بين الشكر والحمد

- **الحمد**: على الإحسان والمحاسن.
- **والشكر**: على الإحسان دون المحاسن يشكر أي على إنعامه، وفضله، وجوده، وعطائه، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأن الحمد يكون على الإحسان ويكون على المحاسن بينما الشكر لا يكون إلا على الإحسان فقط.

فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنى؛ وما خلقه في

الآخرة والأولى ولهذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات وهذا أيضًا تنبيه من الشيخ -رحمه الله- أن الحمد نوعان:

- حمد على الأسماء والصفات
- وحمد على النعم والعطايا والهبات فالله يحمد على أسماءه وصفاته ويحمد أيضًا على نعمه وعطاياه وآلائه سبحانه وتعالى.

قال: (وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام) يعني لا يكون على المحاسن، لا يكون إلا على الإنعام الذي هو الإحسان فهو أخص من الحمد من هذا الوجه لكنه -أي الشكر- يكون بالقلب واليد واللسان (يكون بالقلب) اعترافًا بإنعام المنعم وتفضل المتفضل -سبحانه- ويكون باللسان حمدًا وثناء ويكون بالجوارح استعمالًا لها في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ فالعمل بطاعة الله واستعمال النعمة فيما يرضي الله هذا من شكر النعمة.

قال: (فالحمد إنما يكون بالقلب واللسان) إذن بهذا الاعتبار أيهما أعم؟ الشكر أو الحمد؟ بهذا الاعتبار الشكر أعم لأن الشكر بالقلب واللسان والجوارح والحمد بالقلب واللسان فقط فهو بهذا الاعتبار أعم أي: (فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه) أي: باللسان والقلب والجوارح (والحمد أعم من جهة أسبابه) على الإحسان والمحاسن بينما الشكر على الإحسان فقط.

قال: (والألف واللام في قوله: ﴿الْحَمْدُ﴾ الألف واللام للاستغراق)، ما معنى ذلك؟ قال أي إدخال جميع أنواع الحمد كلها لله لا لغيره فكل حمد لله -سبحانه وتعالى- فـ[ال] في الحمد للاستغراق كل حمد لله،

(فأما الذي لا صنع للخلق فيه مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح)

ما هو الذى (واضح)؟ كون الحمد في هذا كله لله -سبحانه وتعالى- وأما ما يحمد عليه المخلوق من مثلًا مساعدته لغيره معاونته بمال أو غير ذلك ما يحمد عليه المخلوق مثل ما يثنى به على الصالحين وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى من فعل معروفًا خاصًا إن أسداه إليك، فهذا كله لله أيضًا لماذا؟ لأن هؤلاء كلهم لم يفعلوا ذلك إلا بمد الله وعونه وتوفيقه لهم وتسديده فهو منة الله عليهم فإذن الحمد كله لله.

قال: (فهذا كله لله أيضًا بمعنى أنه، خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه وقواه عليه، وغير ذلك من أفضال الله الذي لو يختل بعضها لم يحمد ذلك المحمود) يعني لولا عون الله لمن أعانك وتيسره وتفضله عليه لما حصل لك عون منه، لكن هذا فضل الله،

فإذن عاد الحمد كله لله -سبحانه وتعالى- (فصار الحمد لله كله بهذا الاعتبار).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(وأما قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالله علم على ربنا تبارك وتعالى، ومعناه: الإله أي المعبود لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي المعبود في السموات والمعبود في الأرض ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ الآيتين. وأما الرب فمعناه المالك المتصرف. وأما (العالمين) فهو اسم لكل ما سوى الله -تبارك وتعالى-؛ فكل ما سواه من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج؛ كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد. وذكر بعد ذلك ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفي قراءة أخرى (ملك يوم الدين). فذكر في أول هذه السورة

التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك. كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿مَلِكِ النَّاس﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

فهذه ثلاثة أوصاف لربنا -تبارك وتعالى- ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن؛ فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات؛ فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى، كما يقال: محمد رسول الله، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر).

الشرح:

قال -رحمه الله تعالى-: (وأما قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) قال: (فالله علم على ربنا تبارك وتعالى) ومعناه: الإله أي المعبود الحمد لله، (لله) معنى هذا الاسم أي: المعبود وأحسن ما قيل في تفسير هذا الاسم ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ذو الألوهية والعبودية"

- **الألوهية**: أي: صفات الكمال ونعوت الجلال التي بها استحق أن يؤله ويعبد ويخضع له ويذل.

- **والعبودية**: أي: ما يقوم به العبد من ذل وخضوع ما يقتضيه هذا الاسم من قيام العبد بالخضوع والذل والانكسار لله والطواعية لله -جل وعلا- فالإله هو المعبود المستحق لأن يعبد وأن يفرد وحده بالعبادة وأن لا يُجعل معه شريك في شيء منها.

قال: (ومعناه: الإله أي المعبود لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي المعبود في السموات والمعبود في الأرض) تأمل هذه الآية أوردها الشيخ -رحمه الله تعالى-: مستشهدًا بها على أن معنى (الإله) أي: المعبود ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ ما معناها؟ مثلها: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ما معناها؟ أي: معبود، معبود في السماء تعبده الملائكة «**أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا**» في السماء تعبده الملائكة وفي الأرض يعبده من وفقهم الله لعبادته من الثقلين، وأيضًا ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

قال: (﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي المعبود في السموات والمعبود في الأرض ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾) أورد هذه الآية الثانية توضيحًا للآية الأولى توضيحًا لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ ما معنى الله في السماوات والأرض؟ أي: المعبود يعبد في السماء ويعبد في الأرض كما في الآية الأخرى ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ فهذا مما يدل أن الله معناه المعبود المعبود في السماء تعبده الملائكة والمعبود في الأرض يعبده الثقلان أو من وفقهم الله –سبحانه وتعالى– لعبادته.

قال: (وأما الرب فمعناه المالك المتصرف) هذا معنى الرب أي: الذي بيده الملك وأيضًا التصرف والتدبير فهو المالك لهذا الخلق لا شريك له وأيضًا المتصرف في هذا الخلق لا شريك له بيده العطاء والمنع

والخفض والرفع والقبض والبسط والعز والذل كل ذلك بيده -تبارك وتعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ لاحظ المعنيين اجتمعا في الآية المالك، المتصرف ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ﴾ فمعناه المالك المتصرف.

(وأما (العالمين) فهو اسم لكل ما سوى الله -تبارك وتعالى-؛ فكل ما سواه من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج؛ كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد) فكل من سوى الله عالم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي رب كل شيء، السماء، الأرض، العرش، الناس، الجن، الشجر، كل من سوى الله.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كل من سوى الله مربوب مخلوق مقهور تحت تصرف الله وتدبيره -سبحانه وتعالى- محتاج إلى الله -عز وجل- فقير إليه كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك وهو الغني الصمد.

- الغنى: عمن سواه

- والصمد: تصمد إليه جميع المخلوقات أي: كلها فقيرة إليه وكلها محتاجة إليه ولا غنى لها عنه طرفة عين.

قال: (وذكر بعد ذلك ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفي قراءة أخرى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تأمل هذه الأسماء، الشيخ سيُنبه على فائدة ثمينة جدًّا الله، الرحمن، الملك، هذه ثلاثة أسماء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

﴿الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا الألوهية ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الربوبية ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الملك فذكر هذه الأسماء

- «الله» الدال على الألوهية
- «الرب» الدال على الربوبية
- «الملك» الدال على الملك

كما ذكره في آخر سورة في المصحف، هذه الأسماء الثلاثة ذُكرت أيضًا في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾

الأسماء الثلاثة التي ذُكرت في أول سورة المصحف جاءت أيضًا في آخر سورة في المصحف وهي سورة الناس:

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الربوبية

- ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ الملك

- ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ الألوهية

فاجتمعت هذه في أول سورة وفي آخر سورة فهذه ثلاثة أوصاف لربنا -تبارك وتعالى- ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن.

يقول مستنبطًا من ذلك: (فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه) أي ما معناها؟ وما دلالاتها؟ وعلى أي شيء تدل هذه الأسماء؟ أسماء عظيمة جدًّا خُتم بها القران وافتتح بها القرآن، مجتمعة في موضع واحد في أول القرآن وفي آخر سورة في القرآن (فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في

آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها) هذا الاستنباط؛ ذكرها مجتمعة في أول سورة في القرآن ثم ذكرها مجتمعة في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، يدل على شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات.

أيضًا فائدة ثمينة: (ومعرفة الفرق بين هذه الصفات) عندما تقرأ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وتقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وتقرأ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أيضًا ثم تقرأ في سورة الناس ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ﴾

هل المعنى واحد؟! والعطف هنا عطف مترادفات؟! أبدًا

ولهذا يقول -رحمه الله-: (ومعرفة الفرق بين هذه الصفات؛ فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى، كما يقال: محمد رسول الله، وخاتم

النبيين، وسيد ولد آدم فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر)

هذه ثلاث صفات النبي -ﷺ-، ليس المعنى واحد

- الأولى: فيها وصفه بالرسالة.
- والثانية: فيها ختم النبوة.
- والثالثة: فيها أنه سيد ولد آدم.

هذه ثلاث صفات وصف بها النبي ﷺ.

إذن ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذه ثلاث صفات الله فما هي معاني هذه الصفات؟

هذا أمر تشتد الحاجة إلى معرفته فكل وصف له معنى غير معنى الوصف الآخر أن هذه لا بد من العناية بمعرفة ما دلت عليه من أوصاف إذن ما معنى الإله؟ وما معنى الرب؟ وما معنى الملك؟ ما هي دلالات كل اسم من هذه الأسماء؟ وأيضًا ما هي العبوديات التي

يقتضيها كل اسم من هذه الأسماء لأن كل اسم من أسماء الله له عبودية تخصه ويقتضيها الإيمان بذلك الاسم إذن فما معاني هذه الأسماء؟ الرب، الإله، الملك، وما العبوديات التي تتعلق بها؟

قال -رحمه الله تعالى-: **(إذا عرفت أن معنى الله هو الإله؛ وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أنه الله. فإن دعوت مخلوقًا طيّبًا أو خبيثًا، أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو الله. فمن عرف أنه قد جعل "شمسان" أو "تاجًا" برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا، وقالوا ما ذكر الله عنهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾).**

الشرح:

يقول -رحمه الله تعالى- بعد تأكيده على العناية بهذه الأسماء الثلاثة الله، الرب، الملك، لما أكد على هذه الأسماء الثلاثة وفهمها وذكر الفروق بين ما دلت عليه من صفات، أخذ يبين بعض المعاني والدلالات المستفادة من هذه الأسماء قال: **(إذا عرفت أن معنى الله هو الإله وعرفت أن الإله هو المعبود)** أي: فإن معنى ذلك أن العبادة كلها له لأنه هو إله الأولين والآخرين والمعبود بحق ولا معبود بحق سواه فالعبادة كلها له، من صلاة أو صيام أو دعاء أو ذبح أو نذر أو توكل أو غير ذلك، العبادة كلها له.

يقول: **(ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أنه الله)** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ إذا جعلت صلاتك كلها الله دعاءك، رجاءك، ذبحك،

نذرك، إلى غير ذلك من العبادة، كلها جعلتها لله عرفت أنه هو الله وأنه هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، أما -والعياذ بالله- من يجعل مع الله شريكًا في حقوق الله ماذا صنع؟ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾ جعل إلهين أو جعل آلهة، اتخذ آلهة، فالذي يدعو غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله أيا كان هذا الغير، ما عرف أن الله هو ذو الألوهية وحده لا شريك له، المعبود بحق لا شريك له ما عرف ذلك ولهذا جعل معه آلهة ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾

قال: (فإن دعوت مخلوقًا طيّبًا أو خبيثًا أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو الله)، لأنه بإعطاءه شيء من حقوق الله جعله إلهًا واتخذه إلهًا (فمن عرف أنه قد جعل شمسان أو تاجًا برهة من عمره هو الله)،

هذه الأسماء، أسماء أشخاص في زمانه كانوا يُعبدون ويعظمون التعظيم الذى لا يكون إلا لله، يُذبح لهم ويُنذر.

شمسان كان له أولاد -كما جاء في كتب التراجم- يأمرون الناس ويندبونهم لينذروا له ويعتقدوا فيه وأما تاج فكان بعض الناس في تلك الفترة يعتقدون فيه الولاية وكانوا يأتونه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وتيسير الأمور وغير ذلك.

فهذه أسماء لأشخاص كانوا في ذلك الزمان شمسان وتاج ولا يزال مع مر التاريخ باختلاف المناطق تظهر أسماء يُعتقد فيها، وتجد الناس المبتلين بذلك في تلك المناطق يلجأون إذا مرض أحدهم لا يقول: "اللهم رب الناس اذهب البأس اشفه وأنت الشافي" يبحث عن أحد هؤلاء المقبورين يلتجئ إليه وينذر له ويذبح ويطلب منه قضاء حاجته، هل من يفعل ذلك عرف الله بأنه هو الله؟ هل عرف الله هو

الله المعبود بحق ولا معبود بحق سواه؟ لا والله ما عرف! حتى وإن كان يقرأ الفاتحة ويقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ حتى وإن كان يقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويقرأ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾حتى وإن كان يقرأه، هو ما عرف لأنه واقعه العملي وحياته التطبيقية تدل على أنه ما عرف أن الله هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وأن العبادة حق له ولا يجوز صرف شيء منها لغيره.

قال: (**فمن عرف أنه قد جعل شمسان أو تاجًا برهة من عمره هو الله عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا** - **(ارتاعوا)** أي: خافوا- وقالوا ما ذكر الله عنهم: **﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**) أيضًا بعض الناس الذي ابتلي فترة من عمره بعبادة القبور ويستغيث بالمقبورين ومدد يا فلان وأدركني يا

فلان وأنا عائذ بك يا فلان وإن لم تدركنى من كذا...إلخ ثم يعرف أنه بهذه الأعمال يناقض فاتحة الكتاب ويناقض ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ويناقض كلمة التوحيد **«لا إله إلا الله»** ويناقض زبدة دعوة المرسلين إذا تبين له يرتاع ويدرك الخطر الجسيم الذي كان فيه، وهذا واقع، عدد من الناس مضي فترة من عمره وهو في الملمات والحاجات يفزع لغير الله ويلتجئ لغير الله ثم أنار الله بصيرته وعرف التوحيد وعرف هذه المعانى فتاب وارتاع من تلك الحال السيئة البئيسة التي كان عليها برهة من عمره ثم مضى -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه المعانى: الرب، والملك، مضى في ذلك.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله -تعالى- مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم

رسول الله -ﷺ-، كما ذكر الله عنهم في القرآن في غير موضع كقوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقًا في ذلك، خصوصًا إن اقترن بدعائه نسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله في دعائه (فلان عبدك) أو قول (عبد علي) أو (عبد النبي أو الزبير) فقد أقر له بالربوبية. وفي دعائه عليًّا أو الزبير بدعائه الله -تبارك وتعالى- وإقراره له بالعبودية، ليأتي له بخير أو ليصرف عنه شرًّا، مع تسمية نفسه عبدًا له، قد أقر له بالربوبية، ولم يقر لله بأنه رب العالمين كلهم، بل جحد بعض ربوبيته. فرحم الله عبدا نصح نفسه، وتفطن لهذه المهمات، وسأل عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا السورة بهذا أم لا؟).

الشرح:

سبق أن ذكر -رحمه الله تعالى- أهمية العناية بفقه وفهم الأسماء الثلاثة لربنا -جل شأنه- الله والرب والملك، وذكر -رحمه الله- أن هذه الأسماء الثلاثة جاءت مجتمعة في أول سورة في القرآن في فاتحة الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وجاءت هذه الأسماء الثلاثة مجتمعة في آخر سورة في القرآن -سورة الناس- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ وأشار -رحمه الله- أن هذا الجمع بين هذه الأسماء في أول سورة في القرآن وآخر سورة في القرآن دليل على أهمية هذه الأسماء الثلاثة.

قال: (لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها) فإذن الحاجة ماسة جدًّا إلى معرفة معاني هذه الأسماء الله، الرب، الملك، والشيخ -رحمه الله- يتكلم بفقه عظيم فى الاعتقاد والتوحيد ويبيّن أن ثَم أناسًا

يقرؤون هذه الأسماء مجرد قراءة ولم يفقهوا حقيقتها وما تدل عليه ولهذا يوجد في أعمالهم مناقضة لها ويوجد في أفعالهم مناقضة لها، يقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لكن لا يخلص الألوهية لله، يقول ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويجعل بعض معاني الربوبية لغير الله يقول ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وأيضًا عنده من الخلل في تحقيق الإيمان بهذا الاسم الشيء الكبير وهذا كله سببه عدم إعطاء هذه الأسماء حقها من الفهم وتحقيق العبودية التي تختص بهذه الأسماء.

(الله) اسم من أسماء الله وكل اسم من أسماء الله له عبودية وقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما- "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين" هذا معناه، فمن ذبح لغير الله أو دعا غير الله أو استغاث بغير الله أو قال في دعاءه مدد يا فلان أدركني يا فلان أو نحو ذلك أين هو من تحقيق العبودية المختصة بهذا الاسم؟

(الله) ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين لا شريك له في ذلك لا إله إلا الله، هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.إذن الذي يدعو غير الله أو يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله أو يصرف شيئًا من العبادة لغير الله لم يحقق الإيمان بهذا الاسم (الله) بيّن ذلكم -رحمه الله- ثم أخذ يبين ما يتعلق باسمه -تبارك وتعالى- (الرب).

قال: (وأما الرب فمعناه المالك المتصرف) ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكهم المتفرد بالملك له ملك السماوات والأرض والناس والجبال والدواب والشجر وكل شيء ملك له -سبحانه وتعالى- ومن سواه لا يملك في هذا الكون مثقال ذرة ملكًا استقلاليًا، نعم قد يملك أشياء بتمليك الله -سبحانه وتعالى- له إياها ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لكن لا يملك أحد

شيء ولا مقدار ذرة ملكًا استقلاليًّا، الملك كله لله هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ملكهم كلهم قال الله -سبحانه-: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

ومعناه أيضًا (المتصرف) أي: المتصرف في هذا الكون تدبيرًا وعطاءً ومنعًا وخفضًا ورفعًا وقبضًا وعزًا وذلًا وحياةً وموتًا هذا كله بيده هو المتصرف، (ربهم) أي: المتصرف فيهم ما يكون من حركة ولا سكون، حياة أو موت، صحة أو سقم، غناء أو فقر، ضحك أو بكاء، كل شيء إلا بأمره وإذنه الملك ملكه هو رب العالمين -سبحانه وتعالى-، فالرب معناه المالك المتصرف، فالله -تعالى- مالك كل شيء وهو المتصرف فيه هذا معنى الرب، قال: (وهذا حق، ولكن أقر به عباد الأصنام)، ينبه هنا -رحمه الله- أن هذا الإقرار وحده بأن الله المالك لكل شيء

والمتصرف في كل شيء، لا يكفي ولا ينجي وحده هذا الإقرار لا يكفي، بحيث يكون الإنسان بهذا الإقرار موحدًا لا يكفي ليكون من أهل التوحيد بمجرد الإقرار بأن الله الرب المالك المتصرف ولا ينجي من عذاب الله، لا ينجو من عذاب الله يوم لقاء الله بمجرد إقراره بأن الله المالك الرب المتصرف، لماذا لا يكفي هذا الإقرار ولا ينجي؟

يقول: عباد الأصنام الذين قاتلهم الرسول -ﷺ- أقروا به أقروا أن الله المالك وأقروا أن الله المتصرف أقروا بذلك ومع هذا الإقرار كانوا كفارًا مشركين بعث فيهم النبي -ﷺ- ودعاهم إلى الإسلام دعاهم إلى التوحيد أمرهم بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ مع إقرارهم بأن الله هو المالك الرب المتصرف.

ما الدليل على أن المشركين كانوا يقرون بذلك؟

قال: (كما ذكر الله عنهم في القرآن في غير موضع)، آيات كثيرة جدًّا في القرآن تدل على ذلك، منها ما ساقه -رحمه الله تعالى- من سورة يونس قول الله -جل في علاه-: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ من الذي يفعل هذه الأشياء؟ قل لهم، قل للمشركين قل لعبدة الأصنام ودعاة الأوثان الذين اتخذوا مع الله شركاء قل لهم من الذي يرزقكم من السماء والأرض؟ -من السماء بنزول الأمطار ونزول الغيث، والأرض بخروج، النبات، من الذي ينزل الغيث؟ ومن الذي ينبت النبات؟ لا يقولون اللات والعزى ومناة، يقولون الله قل لهم من الذى يملك السمع والأبصار؟ هذه الأسماع وهذه الأبصار بيد من؟ وبملك من؟ وبتصريف من؟ قل لهم

من الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ قل لهم من الذي يدبر الأمر؟ كل هذه السؤالات إذا قيلت لهم ماذا يقولون؟ ماذا قال الله؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ هكذا سيقول المشركون؟ سيقولون الله هو الذي يملك السمع والأبصار وهو الذي ينزل الأرزاق ويخرج الأرزاق وهو الذي بيده الأمر وهو الذي بيده الحياة والموت ما يقولون أن هذه الأشياء بأيدي الأصنام لا يقولون أنها بأيدي الأصنام لا يقولون أنها بايدى الأصنام ولا يقولون الأصنام تملك أو أنها تدبر لا يقولون ذلك وإذا قيل لهم إذن لماذا إذن تعبدونها؟ وأنتم تعتقدون أنها لا تملك شيء من ذلك ماذا يقولون؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

نحن لا نقول: نحن لا نعبدهم لأننا نعتقد أنهم يملكون ويرزقون ويدبرون لا نعتقد ذلك فيهم ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم التلبية

الشركية يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك يقولون ما يملك شيء هذا لكن لماذا تعبدونهم؟! يقولون نعبدهم من أجل أن يقربونا الى الله زلفى إذن لاحظ هنا هذه الآية دليل على الأمرين:

- الملك

- والتصريف أن معنى الرب المالك المتصرف.

فهذان المعنيان كان يقر بهما المشركون: الملك في قوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ والتصرف في قوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ كذلك المعاني الأخرى في الآية، لكن هذا واضح في إقرارهم بأن الملك لله وأن التدبير بيد الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي مع هذا الإقرار لا تتقون الله فتخلصون له الدين وتبتعدون عن اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله رب العالمين؟

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فهذا يبين أن الإقرار بالربوبية والإيمان بأن الله هو المالك المتصرف هذا وحده لا يكفي ولا ينجي، لا يكفي بأن يكون المرء موحدًا ولا ينجي يوم القيامة من عذاب الله لأن المشركين عبدة الأوثان كانوا يقرون بذلك.

يقول -رحمه الله-: **(فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقا في ذلك خصوصًا إن اقترن بدعائه للمخلوق نسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله في دعائه للمخلوق (فلان عبدك) أو قول (عبد علي) أو (عبد النبي أو عبد الزبير) فقد أقر له بالربوبية)** دعاؤه له ونسبته نفسه إليه بأنه عبد له والعبودية تتناول معنيين:

١. عبودية لألوهية الله بإخلاص الدين له.

٢. وعبودية لربوبية الله بأنه مذلل ومخلوق لله، عبد الله أو عبد الرحمن أي: يعبد الله وأيضًا هو معبد أن العبد يراد به:

- العابد
- ويراد به المعبد.

فعندما ينسب نفسه له، يقول عبد فلان عبدك فلان أو يقول عبد علي أو عبد النبي أو عبد الزبير أو غير ذلك، هذا كما أنه خلل في العبودية خلل في الربوبية، كما يوضح ذلكم الشيخ -رحمه الله تعالى- ولهذا يقول:

(فقد أقر له بالربوبية وفي دعائه عليًا أو الزبير بدعائه الله -تبارك وتعالى- وإقراره له بالعبودية ليأتِ له بخير أو ليصرف عنه شرًا مع تسمية نفسه عبدًا له فقد أقر له بالربوبية ولم يقر له بأنه رب العالمين كلهم)

لاحظ كلمة (كلهم، رب العالمين كلهم) لأنه الآن عبد نفسه لغير الله إما لعلي أو للنبي وهذا من جنس صنيع المشركين الأول يعبد نفسه للشمس عبد الشمس، عبد العزى، عبد مناة، إلى غير ذلك.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "وشريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده: تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله -ﷺ- وتغير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية وعامة ما سمى به النبي -ﷺ- عبد الله وعبد الرحمن".

وقال في الحديث الصحيح "خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن".

قال -رحمه الله-: (بل جحد بعض ربوبيته) -اسمع الآن النصح العظيم- يقول: (فرحم الله عبدًا نصح نفسه، وتفطن لهذه المهمات

وسأل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا السورة بهذا أم لا؟)

أي أن هذا الكلام لم يأت به الشيخ -رحمه الله تبارك وتعالى- إنشاء من عند نفسه وإنما هذا هو كلام أهل العلم والبصيرة في فهم كلام الله - تبارك وتعالى- ومعانى كلام الله أما ذاك الذي انحرف وأخذ يعبد نفسه أو أولاده لغير الله عبد علي أو عبد الزبيرأو عبد النبي أو عبد الرسول أو غير ذلك ثم في المناجاة يفزع لغير الله مدد يا فلان أدركنى يا فلان أنا عائذ بك يا فلان أين إقراره الله بالعبودية؟ وأين أيضًا إيمانه بأن الله رب العالمين كلهم؟! وعنده هذا الخلل؟!

ثم إن كان يقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ﴾ هل هو من أهل هذه الآيات؟! هل هو من أهلها؟! بمجرد هذه القراءة مع أعمال تنقضها وتصادمها

وتعارضها؟! لا والله، لا يكون من أهل هذه الآيات حتى يفهم ما دلت عليه ويحقق العبودية التي تقتضيها.

(فرحم الله عبدًا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات وسأل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم هل فسروا السورة بهذا أم لا) وهذا أيضًا من جميل النصح الشيخ يقول: انظر كلام أهل العلم، طالع كلام المفسرين، انظر كلام الأئمة في معنى الآية ومعاني هذه الآيات واسأل الله -تبارك وتعالى- أن يهديك حقًا وصدقًا إلى صراطه المستقيم وأن يجنبك مثل هذه المنزلقات الخطيرة.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(وأما الملك فسيأتي الكلام عليه ؛ وذلك أن قوله : ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ وفي القراءة الأخرى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله : ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ١٧ ثُمَّ ما

أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم ، مع أنه –سبحانه– مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره، عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها، فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، فأين هذا المعنى والإيمان به والإيمان بما صرح به القرآن مع قوله –ﷺ–: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا) من قول صاحب البردة:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي

إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بِتَسْمِيَتِي

محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي

فضلًا وإلا فقل يازلة القدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها، ومن فُتِن بها من العباد، ومن يدعي أنه من العلماء، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن، هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، وقوله: «يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» ؟ لا والله، لا والله؛ لا والله إلا كما يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمدًا صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق، والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان.

فمن عرف هذه المسألة وعرف البُردة، ومن فتن بها عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس

عند التكفير والقتال ، بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلا تَدعوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وعند قوله: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ﴾ وقوله: ﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ﴾ فهذا بعض المعاني في قوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ بإجماع المفسرين كلهم، وقد فسرها الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا السَّماءُ انفَطَرَت﴾ كما قدمت لك).

الشرح:

يبيّن هنا -رحمه الله تعالى- ما يتعلق بقوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ وفي قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ اِلدِّينِۖ﴾ وأيضًا يبين وجه التخصيص بمُلك يوم الدين مع أن الله مالك كل شيء الدنيا والآخرة والسماوات والأرض ومالك كل شيء، فما وجه التخصيص بيوم الدين الذي هو يوم الحساب؟

و﴿الدِّينِ﴾ أي: الحساب ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: الحساب، والله - جل وعلا- من أسماءه الحسنى الدّيَّان كما في الحديث القدسي: «**أنا الدّيَّان، أنا الملك**» يقول ذلكم يوم القيامة سبحانه، ومعنى (الديّان) أي: المجازي والمحاسب.

فـ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ أي: مالك الحساب ومالك الجزاء -جل وعلا-، فيقول -رحمه الله-:

(وأما الملك فسيأتي الكلام عليه؛ وذلك أن قوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ وفي القراءة الأخرى ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله: ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾)

عندما تقرأ ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ **ما المراد بيوم الدين؟**

قال -رحمه الله- يفسر لك ذلك، الآية التي في الانفطار وهي قوله: **﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾**

والشيخ له أيضًا مقصد عظيم عقدي بإيراده الآية **﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾** ثلاث نكرات في سياق النفي والنكرة تفيد العموم

- **﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ﴾** يعنى مهما عظمت ومهما بلغت مكانها وجاهها ومنزلتها
- **﴿لِنَفسٍ﴾** مهما كانت عزيزة وغالية عندها،
- **﴿شَيئًا﴾**وإن قل، لا تملك شيئًا، الملك كله لله.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الملك كله لله لا يملك أحد.

نبينا -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر الغلول -والحديث في صحيح البخاري- وعظم أمره قال: «**لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك وعلى رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك وعلى رقبته صامت** -أي ذهب أو فضة- **فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك أو على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك**».

إبراهيم الخليل -عليه السلام- جاء في صحيح البخاري «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك**» -

خليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- يلقى أباه يوم القيامة تأمل هذا مع قوله: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى- «**فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله -تعالى-: إني حرمت الجنة على الكافرين**» -هذا قول الله لخليله إبراهيم «إني حرمت الجنة على الكافرين» ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾-

«**ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ** - يعنى تحول والده على صورة ذيخ والذيخ هو ذكر الضباع- **متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**»

﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ الملك لله -سبحانه وتعالى- لله رب العالمين ولهذا أيضًا نبينا -عليه الصلاة والسلام- قال لفاطمة ابنته فاطمة بنت محمد قال لها : «**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما**

شئت لا أغني عنك من الله شيئًا» وخاطب بهذا الخطاب عشيرته وعمته صفية وعمه خاطبهم، عمم وخصص بهذا الخطاب والله قال في القرآن: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَىءٌ﴾

الأمر لله ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ إذن نحتاج فعلًا أن نتفقه في قوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ هل فهم ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ من يقول مخاطبًا الرسول -ﷺ- إن لم تأخذ بيدي - يعني يوم القيامة - فيا زلة القدم؟!

إذا لم تأخذ بيدي يوم القيامة أنا خسران، هل فهم ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾؟! هل فهم هذه الآية؟! الذي فهم هذه الآية ماذا يقول؟ يا رب إن لم تأخذ بيدي، إن لم تنجني يوم القيامة يا زلة القدم، الأمر لله بيد الله -جل وعلا- يُطلب وحده ويُسأل وحده يلجأ إليه وحده، النجاة تطلب منه، نبينا -عليه الصلاة والسلام- في دعاءه يلجأ إلى الله

وحده ويقول كل ليلة إذا أراد أن ينام لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك"، هذا كان يقوله كل ليلة -عليه الصلاة والسلام- إذا أراد أن ينام «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» المفر إلى الله ﴿فَفِرّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اللجوء إلى الله، الفزع إلى الله، الاستعاذة والإلتجاء كله إلى الله سبحانه وتعالى.

فيقول: (فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله : ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾

﴿نَفسٌ﴾ مهما عظمت ومهما بلغ قدرها ومهما علت مكانتها

﴿لِنَفسٍ﴾ يعني مهما كان أيضًا لها مكانة ومنزلة

﴿شَيئًا﴾ ولا مقدار يسير جدًّا، ﴿شَيئًا﴾ أي: ولا مقدار لماذا؟ لأن الأمر كله لله، الأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

يقول - رحمه الله تعالى-: (فمن عرف تفسير هذه الآية)، الآية ما هي؟ ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ -نقرأها في اليوم والليلة سبعة عشر مرة فرضًا- (فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم ، مع أنه -سبحانه- مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره، عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها)

والله كلام عظيم جدًّا، جدًّا عظيم يقول -رحمه الله- من عرف هذه المسألة التي لأجلها خصص يوم الدين بالذكر هنا ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: النجاة والفوز والسلامة من سخط الله وعقابه والفوز بجنته والنجاة من ناره كل ذلك بيده ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ النجاة يوم القيامة بيده -جل وعلا- لا نجاة من النار ولا فوز بالجنة إلا بأمره - سبحانه وتعالى- فالأمر لله وبيد الله -جل وعلا- فالذي فقه هذه

المسألة حقًا ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفهم المراد وأنه ذلك اليوم ﴿لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ هل يخاطب مخلوقًا من المخلوقات ويقول : إن لم تأخذ بيدي في ذلك اليوم سأكون خاسرًا؟! هل يخاطب مخلوقًا من المخلوقات مهما عظم ومهما بلغ شأنه، هل يخاطب مخلوقًا يقول: إن لم تأخذ بيدي فسأكون من الخاسرين!

آدم -عليه السلام- في توبته ماذا قال؟ ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمنا أَنفُسَنا وَإِن لَم تَغفِر لَنا وَتَرحَمنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾ الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى- وهذا دعاء جميع الأنبياء، العبد إن لم ينجه الله كان من الخاسرين إن لم يكتب له الله النجاة كان من الخاسرين فكيف يخاطب بذلك مخلوق من المخلوقات؟

فإذن يقول الشيخ -رحمه الله-: **(عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها)** إذا فهم الإنسان ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ لن يقول في دعاءه إلا ماذا؟ يا رب، يا الله، مدد يا الله أسالك يا الله، لطفك يا الله، أدعوك يا الله، لا يتجاوز ذلك لأنه ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

أمّا أهل الخرافة وأهل الضلال ففى أبعد ما يكونون عن ذلك عن فهم ﴿يَوْمِ الدِّين﴾ ويكثر عندهم الدجل على الأتباع، يقول بعضهم لأتباعه لا عليكم يوم القيامة، ويقولون ليس بشيخ من لا يأخذ كل

واحد من مريديه بيده ويدخله الجنة، يقولون هذا ما هو شيخ الذي لا يأخذ كل فرد من مريديه وأتباعه ويدخلهم الجنة، والآخر يقول لأتباعه لا عليكم يوم القيامة أبصق على النار وتصبح حشيش أخضر وكلام من هذا الضلال والدجل يستخفون به عقول العوام، الجهلة، فيتعلقون بؤلائك ثم يتعلقون بهم في حياتهم وأيضًا يتعلقون بهم بعد مماتهم ولهذا يفزعون إليهم ويذهبون إلى قبورهم ويناجونهم ومدد وأدركنا..وإلخ أين إيمانهم ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟! " ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

يقول: (بسبب معرفة هذه المسألة دخل الجنة من دخلها) ما معنى هذا؟ بسبب معرفة هذه المسألة

دخل الجنة من دخلها؟ من آمن بـ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾حق الإيمان ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

لن يدعوا إلا الله ولن يلتجأ إلا إلى الله ولن يفزع إلا إلى الله ولن يطلب نجاته إلا من الله الأمر بيده -سبحانه وتعالى- ومن جهل هذه المسألة دخل النار بسبب جهلها وأصبحوا يتعلقون بأشياخ وبأشخاص وبذوات ويلجأون إليهم ويفزعون إليهم ويطلبون منهم حتى أن بعضهم يقول في مناجاته:

ما لي من ألوذ به سواك -يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام-

ما لي من ألوذ به سواك؟ لا يوجد من ألتجأ إليه إلا أنت ويقول: إن لم تأخذ بيدي فيا زلة القدم، أين الفهم لـ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

(فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها) هذه المسألة التي شرحها الآن يقول: لو أن شخصًا سافر عشرين سنة من أجل أن يستفيد هذه المسألة ما وفاها حقها، مسألة عظيمة جدًّا هي أثمن ما يكون وأغلى ما يكون بسبب فهمها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، (فأين هذا المعنى) أي: المستفاد من هذه الآية: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ والآية الأخرى المفسرة لها في سورة الانفطار أين هذا المعنى والإيمان به والإيمان بما صرح به القرآن مع قوله -ﷺ-: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**» وما جاء من آيات وأحاديث في هذا المعنى.

أين هذا من قول صاحب البردة؟! ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم، فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم، إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم.

ثم يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك -يعنى فضلك ومنك وكرمك- الدنيا وضرتها

وإن من علومك علم اللوح والقلم

ماذا أبقى لله؟! يا أكرم الخلق ينادي الرسول -عليه الصلاة والسلام- ، لو قال ياخالق الخلق يخاطب الله، ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم، ماذا يكون الخطاب هنا؟ لو كان خاطب الله -

سبحانه- بهذا الخطاب يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم هذا الكلام ما هو؟ هذا توحيد وإخلاص ومناجاة لله عندما تناجي ربك يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، وإن من جودك - أي يا الله - الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم، هذا كله توحيد، توحيد في الربوبية وتوحيد في الألوهية وتوحيد في الأسماء والصفات

❁ توحيد في الألوهية: يا خالق الخالق ما لي من ألوذ به سواك

❁ وتوحيد في الربوبية: وإن من جودك الدنيا وضرتها

❁ وتوحيد في الأسماء والصفات: وإن من علومك علم اللوح والقلم

فإذا غير الخطاب وخاطب به مخلوقًا وقال يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك ماذا يصبح الكلام؟ إذا كان ذاك توحيد فجعله للمخلوق

ماذا يكون؟! شرك وتنديد، ما يحتاج الأمر واضح، إذا كان خطاب الله بهذا الخطاب يسمى توحيدًا جعلوا هذا الخطاب لغيره يسمى شركًا وتنديدًا لأن الشرك والتنديد هو: تسوية غير الله بالله في شيء من حقوق الله أو شيء من خصائصه -سبحانه وتعالى- وهذا فيه إشراك في الحقوق وإشراك في الخصائص في حقوق الله وفي خصائص الله سبحانه وتعالى.

النبي -ﷺ- سمع امرأة تقول: "وفينا نبي يعلم ما في غد" فغضب وقال: «**أما هذا فلا تقولوه ما يعلم ما في غد إلا الله**»، سمع رجلًا يقول: ما شاء الله وشئت فقال: «**جعلتني لله عدلًا** -أي ندًّا- **بل ما شاء الله وحده**».

والأحاديث عنه في حماية حمى التوحيد وسد الذرائع المفضية إلى الشرك كثيرة جدا فأين هذه الأبيات من قوله -تعالى-: ﴿مالِكِ يَومِ

الدِّينِ﴾ ومن قول نبينا -عليه الصلاة والسلام- «**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**» ثم هذا اللجوء إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم، جاهك لن يضيق بى جاهك عظيم فهو يلجأ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- ويخاطبه ويقول أن جاهك لن يضيق بي وخاصة يقول أن اسمى محمد يقول فإن لي ذمة منه -أي من الرسول -ﷺ- لى ذمة لي حق خاص ولي اعتبار خاص منه أي: من الرسول -عليه الصلاة والسلام- بتسميتي محمد، فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم فما دام أن اسمى محمد مثل اسمه فأنا لي حق خاص عنده، وأين الدليل على أن كل من اسمه محمد له حق خاص؟! وأنه بهذا الاسم مجرد محمد؟! إذن كل واحد يسمي أولاده ليس فقط الولد الواحد بل كل أولاده يسمى كل الأولاد بهذا

الاسم محمد وأيّا كانت حاله وأيا كانت أعماله له ذمة عند النبي - ﷺ- أن يأخذ بيده وتكون له النجاة يوم القيامة، أي كلام هذا؟! وأي فهم هذا ؟! لتوحيد الله أي ضياع هذا؟!

وعندما يسمع العوام والجهال مثل ذلك يقول ما دام أن اسمى محمدًا ولو فعلت ما فعلت لي ذمة عنده حتى ولو كان وقع فيما وقع فيه من أعمال أو شنائع أو غير ذلك.

ثم يقول: إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي -أي الرسول عليه الصلاة والسلام- فضلًا - أي فضلًا منه وتكرمًا وإحسانًا - وإلا فقل يا زلة القدم أي: سأكون من الخاسرين.

هل الذي يقول هذه الأبيات أو يرددها هل فهم ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾؟ هل فهم ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾؟!

لا والله ما فهمها، ثم بعضهم يسمى البردة البُرأة يقولون إنها نافعة جدًّا للمريض يسمونها البرأة مثل ما تسمى الفاتحة الشافية، يسمون البردة البرأة ويوصون بأن تكتب في إناء ويصب عليه الماء ويشرب منه المريض، وأن فيها شفاء أيّ شفاء في هذا الالتجاء لغير الله؟ ما كان الشرك والالتجاء إلى غير الله شفاء، لا والله هو المرض العضال؛ الشرك، وهو الداء الذي لا أعظم منه الالتجاء إلى غير الله سبحانه وتعالى ما يمكن أن يكون فيه برء وفيه شفاء ما يمكن.

الشفاء في التوحيد والإخلاص سورة الفاتحة شافية، آية الكرسي شافية لأنها كلها توحيد آية الكرسي كلها لجوء إلى الله وفزع إلى الله سبحانه وتعالى الفاتحة شافية، ﴿قُل أَعوذُ بِرَبِّ النّاسِ ۝١ مَلِكِ النّاسِ﴾ ﴿قُل أَعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ كله لجوء إلى الله فهو شفاء، ويدّعون ادعاءات حتى ذكر الشيخ عنهم يقول: (فليتأمل الناصح

لنفسه هذه الأبيات ومعناها، ومن فتن بها من العباد أو من العِباد وممّن يدعي أنه من العلماء ، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن).

حتى إن بعضهم يقولون إن البردة لا يجوز أن تقرأ إلا بالطهارة ولا يجوز أن تقرأ قراءة عادية ترتل ترتيلًا وبخشوع...إلخ ويعدونها رقية وتقرأ على المريض وأشياء كثيرة جدًّا يضفونها إلى هذه الأبيات وتعلقات، إذن نحتاج والله كما قال الشيخ أن نقرأ ولو استمرت هذه القراءة والتفقه عشرين سنة ﴿**مالِكِ يَومِ الدّينِ**﴾

﴿**ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ هذا كلام الله والشيخ يلمح إلى أمر جليل في مقابل هذه الضلالات، خاصّة من نشأ في مجتمع ابتلى بمثل هذه الأمور التي يشير إليها -رحمه الله- أن يداوي نفسه بالقرآن ما يمنع أن الإنسان يكرر ﴿**مالِكِ يَومِ الدّينِ**﴾ ﴿**ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨**

يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ويكررها ويكررها ويكررها يداوي نفسه بالقرآن لعل يفتح الله عليه بتلاوته لهذه الآيات وتأمله يفتح عليه الفهم للتوحيد واللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى- وحده بدل أن يستمر يردد ما لي من ألوذ به سواك لأنه إذا كرر ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ ﴿ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ﴾ وأخذ يتفقه ويتفقه ويكرر ويتفقه حتى يفهم ويعي التوحيد الذي في هذه الآيات لن يقول أبدًا مخاطبًا الرسول -ﷺ- أو غيره ما لي من ألوذ به سواك، لن يقول إلا ما لي من ألوذ به إلا مالك يوم الدين -سبحانه وتعالى- مالك الأولين والآخرين مالك السماوات والأرض، وجميع العالمين المتصرف المدبر، إن أردت الجنة، قل يا رب إن أردت النجاة من النار قل يا رب، إن أردت أن يشفع لك النبي-ﷺ- يوم القيامة

قل يا رب اجعله شفيعًا لي لا تخاطب غير الله لا تلجأ إلى غير الله لا تدعوا غير الله كل شيء تريده اطلبه من مالك يوم الدين.

إذا أردت أن يكون النبي -عليه الصلاة والسلام- شفيعًا لك وأردت أن يكون الأنبياء والملائكة والصالحين شفعاء لك قل يا رب شفع في نبيك، شفع في ملائكتك شفع فيّ أولياءك ﴿مَن ذَا الَّذى يَشفَعُ عِندَهُ إِلّا بِإِذنِهِ﴾ ﴿وَلا يَشفَعونَ إِلّا لِمَنِ ارتَضى﴾ ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ فِى السَّماواتِ لا تُغنى شَفاعَتُهُم شَيئًا إِلّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضى﴾.

لا شفاعة إلا بإذن الله ولا شفاعة إلا لمن رضي الله عمله وقوله فمن أراد الشفاعة لأن بعضهم يقول المراد الشفاعة، من أراد الشفاعة يوحد الله يقول يا رب يسأل الله -سبحانه وتعالى- يقول يا رب شفع في نبيك.

أسأل الله جل في علاه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل نبيّنا الكريم -عليه الصلاة والسلام- شفيعًا لنا يوم لقائه، اللهم اجعله شفيعًا لنا يوم لقائك وأعذنا أجمعين ياربنا من الشرك ومن الالتجاء لغير ومن دعاء غيرك ومن الفزع إلى غيرك واجعل التجاءنا وفزعنا كله إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ولا مفر إلا إليه إليك المفزع وإليك الملتجأ وإليك المفرّ ولا حول ولا قوّة إلا بك.

يقول -رحمه الله تعالى-:

(هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ الذي فهم معنى الأبيات وفهم معنى هذه الآيات هل يجتمع التصديق بما دلت عليه الأبيات وما دلت عليه هذه الآيات هل يجتمعان؟)

السؤال مرة ثانية يقول الشيخ بعد هذا البيان الذي أوضحه يقول: (هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وقوله: «يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا»؟)

بماذا تجيبون على هذا السؤال؟ الشيخ - رحمه الله- حلف ثلاث مرات قال: (لا والله، لا والله، لا والله) ما يمكن تجتمع كيف يجتمع شرك وتوحيد أو حق وباطل أو هدى وضلال ما يمكن أن يجتمع يقول: (إلا كما يجتمع في قلبك أن موسى صادق، وأن فرعون صادق) إذا كانت هذه تجتمع يمكن أن يجتمع ذاك أو كما يجتمع أن محمدًا صادق على الحق وأن أبا جهل صادق على الحق، هذه هل تجتمع؟! (والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان)!

الغراب ما تشيب مفارقه أي: هذا لا يمكن أن يكون فإذن إما أن يوحد بفهم هذه الآيات واعتقاد ما دلت عليه ويخلص دينه لله - سبحانه وتعالى- أو -والعياذ بالله- يستمر مع هذه الأبيات ومع هذا الضلال ويمضي ملتجئًا إلى غير الله وفزعا إلى غير الله وستكون الندامة الكبرى يوم يلقى الله ولا ينفعه شيء تلك التعلقات لأن الله قد قال: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ومن الخير للعبد أن ينصح نفسه وأن يكرر هذه الآيات: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

وأنا أدعو الإخوان جميعًا دعوة ناصح أن هذه الآيات نكررها: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ نكررها نداوى قلوبنا بها وهذا من الاستشفاء بالقرآن حتى يزداد في قلبنا التوحيد

الذي تدل عليه هذه الآيات والإخلاص الذي تدل عليه هذه الآيات ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

إذن ماذا نصنع؟ لا نلجأ إلا إلى الله ولا نفزع إلا إليه ولا نطلب إلا منه سبحانه لأن الأمر كله بيده -سبحانه وتعالى- فنكرر ونتأمل، حتى ابن القيم -رحمه الله- في أحد كتبه يقول: "إذا وجد الإنسان حاجته إلى أمر أو معنى من المعاني لا مانع أن تكرر هذه الآيات ولو ليلة حتى قال: قراءة آية بتدبر خير من قراءة ختمة بلا تدبر"..

إذن ما أحوجنا أجمعين إلى هذا التأمل في هذه المعاني الجليلة العظيمة و هذا التوحيد المستفاد من قوله ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ والتأمل في الآيات التي في الانفطار المفسرة لها ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ يتأمل فيها ويتأمل هذا التخصيص وما يترتب عليه من معاني ودلالات ويكرر

هذا المعنى ويجيله في نفسه مداويًا نفسه بذلك، "وقراءة آية -يقول ابن القيم رحمه الله تعالى- بتدبر خير من قراءة ختمة كاملة بلا تدبر".

لأنك إن قرأت بتدبر وفهمت الدلالة وعملت بها كنت من أهل هذه الآية ولو قرأت القرآن بدون فهم وبدون عمل لا يكون الإنسان بمجرد ذلك من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

يقول -رحمه الله-: **(فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة)**

البردة في الأصل تسميتها "الكواكب الدرية في مدح خيرالبرية" هذا اسمها ويقولون أن صاحبها يزعم أن النبي -ﷺ- رآه في المنام وألقى عليه بردة فسميت البردة، ثم بعضهم سماها أيضًا البرأة من البرء وهو الشفاء هذا كله من المغالاة والزعم الذي يجر العوام والجهال إلى مثل هذه التعلقات وكثيرًا ما تروج الخرافة بالرؤى.

أذكر مرة رأيت كتابًا مليء بالخرافة والأدعية الشركية وطلاسم وأشياء غير مقبولة فقلت في نفسي من الذي يقبل مثل هذا الكلام؟! من يقبله؟! ثم نظرت في آخر الكتاب وإذا بالمؤلف يقول: أنني بعد أن فرغت من هذا الكتاب ترددت في نشره وحبسته عندي مترددًا في نشره فإذا بالنبي -ﷺ- جائني في المنام قال إلى متى تؤخر الكتاب؟ إلى متى وأنت حابس الكتاب ما تنشره؟ يقول أيضًا ترددت وجاء أبو بكر في المنام وجاء عمر وجاء عثمان وجاء علي قلت خلاص كل هؤلاء يقولون لي! ونشره!

العوام لما يأتي مثل هذا الكلام مباشرة يقولون متفق عليه لا تبحث عنه هذا النبي -ﷺ- جاءه في المنام وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ما يحتاج إلى أن تنظر في إسناد ولا في غيره هذا متفق عليه، هذا شأن العوام والجهال مساكين! يقال له رأيت في المنام ورأيت كذا ثم يقبلون مثل

هذه الخرافات أو هذه الشركات أو مثل هذه الأمور بمثل هذه إذن نحتاج أن نكرر ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة، ومن فتن بها عرف غربة الإسلام) أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، (وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير والقتال) يعني لا يرجع الى ذلك ما سببه؟ يقول: (بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلا تَدعوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وعند قوله: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ﴾ وقوله: ﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيهِ إِلَى الماءِ لِيَبلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ﴾ فهذا بعض المعاني).

يقول: نحن فقط كنا نقول لهم ادعوا الله، اعبدوا الله، الجأوا إلى الله، اخلصوا الدين لله، نقرأ عليهم هذه الآيات فقاتلونا وكفرونا -والأمر كما قيل رمتني بدائها وانسلت- الشيخ -رحمه الله- كان يدعوهم إلى التوحيد والإخلاص ويدعوهم إلى هذه الآيات، انظر الآن دعوة الشيخ، الشيخ-رحمه الله- فيما سبق الآن قبل قليل قرأناه كل كلامه يطلب أن يتأمل المتأمل في قوله: ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ﴿١٨﴾ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يطلب التأمل في هذه الآيات ما جاء بأبيات أنشأها واخترعها أو أشياء أخترعها وقال تأملوا كلامي، ما قال ذلك، يدعو الناس إلى القرآن إلى كلام الله إلى فهمه إلى مداواة النفس بالقرآن وبكلام الله -سبحانه وتعالى- فكان داعية حق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

(فهذا بعض المعاني في قوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدّينِ﴾ بإجماع المفسرين كلهم، وقد فسرها الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا السَّماءُ انفَطَرَت﴾ كما قدمت لك).

أي في قوله: ﴿وَما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٧ ثُمَّ ما أَدراكَ ما يَومُ الدّينِ ۝١٨ يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

(واعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء، فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم وشهرًا بعد شهر، وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك فتحشر معهما؛ ولا تصد عن الحوض يوم الدين، كما يصد عنه من صد عن طريقهما. ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة، ولا

تزل عنه كما زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا من زل، فعليك بإدامة دعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع).

الشرح:

إن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يتكلم بنصح، نصح عظيم، ومحبة للخير، وحرص على نفع الناس وإنقاذهم من أنواع الضلال وصنوف الباطل التي ابتُلِي بها كثير من الناس، بسبب أولا الجهل وبسبب دعاة الباطل، وأئمة الضلال الذين أوقعوا كثيرا من الناس في جاهليات وشركيات وأمور تصادم دين الأنبياء والمرسلين.

فالشيخ -رحمه الله تعالى- يتكلم بنصح عظيم وحرص على نفع الناس، ويعالج تلك الأخطاء وتلك المخالفات من خلال معاني سورة الفاتحة، وعِبَرِها ودروسها والفاتحة مليئة بالدروس والعبر،

وكيف لا تكون كذلك وهي أم القرآن، وقد حوت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا.

والمصيبة أن أناسًا يقرؤون الفاتحة قراءة متكررة بتكرر الليالي والأيام لكن أفعالهم مصادمة تمامًا لما تدل عليه هذه السورة العظيمة من وجوب إخلاص الدِّين الله -عز وجل- وإفراده وحده -تبارك وتعالى- بالعبادة، والبعد عن الشرك كله دقيقه وجليله، وصغيره وكبيره ، يقرأ الفاتحة مرات وكرات لكنه يستنجد بغير الله، ويستغيث بغير الله، ويطلب المدد من غير الله، ويذبح لغير الله، ويصرف أنواعًا من العبادة لغير الله ، أين هو من فاتحة الكتاب التي يقرأها ؟!.

صارت الفاتحة حجة عليه لا له، والله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين، ذاك الذي يقرأ القرآن، ويصادم ما جاء به القرآن، ويناقض ما جاء به القرآن، لا يكون بهذه القراءة من أهل القرآن.

ولهذا نلاحظ الشيخ -رحمه الله- يحث حث الإمام الناصح يقول: (فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة ، ويومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر وسنة بعد سنة).

(تأمل) تدبر كلام الله تأمل في هذه الآيات العظيمة، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ﴾، ﴿أَفَلَم يَدَّبَّرُوا القَولَ﴾، ﴿كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ﴾، فهو -رحمه الله- يستحث على التأمل والتدبر في معاني آي القرآن الكريم ولا سيما هذه السورة العظيمة سورة الفاتحة أم القرآن.

وهو في هذا المقام ينبه على باب لطيف جدًّا في فهم الحقائق الشرعية، ومكانتها العظيمة ومنزلتها الرفيعة يقول -رحمه الله-: (واعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء)، الآن مثلًا لو أردت أن تبين لابنك أهمية الصحة، ومكانة

العافية، وأن عليك أيها الابن أن تحفظ هذه الصحة، والصحة مكانتها عظيمة، تريد أن تبين له الصحة، فأخذت تحدثه عن المرض وعن المرضى وعن أحوالهم ومعاناتهم وشدائدهم ...إلخ ذلك.

حديثك عن المرض هو بحد ذاته إظهار لحسن الصحة ومكانتها، عندما تريد أن تحدث الإنسان بنعمة النور، نور المصباح الذي يرى فيه الطريق ويستطيع أن يقرأ الكتاب..إلخ، فتحدثه عن واقع الإنسان لو كان ظلام بدون نور وليس عنده مصباح كيف يقرأ؟ كيف يتحرك؟ فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء، فإذا أردنا أن نتحدث عن مكانة التوحيد العظيمة، وعظمة الإخلاص، والمكانة التي يتبوأها المخلص الذي أفرد الله -جل وعلا- بالعبادة ولم يجعل مع الله شريكًا، وقلنا انظروا إلى حال التائهين الضائعين مُشَتَّتي القلوب ممزَّقي الأفئدة، قلوبهم متعلقة بمخلوق، لا يملك لنفسه نفعًا

لا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، فضلًا أن يملك لغيره، يفزعون إليه ويلجؤون إليه، ويستغيثون به، وإذا ناب أحدهم حاجة التجأ إليه، مرة ينادي ذاك، ومرة يناجي ذاك، ومرة يلتجأ إلى ذاك، مشتت القلب ممزق الفؤاد، اتخذ آلهة ومعبودات، يعيش حياة الضياع وحياة النكد، يعيش حياة تجلب له الوهن تلو الوهن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعوذونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزادوهُم رَهَقًا﴾.

«**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**» التعلقات الباطلة بغير الله لا يصل صاحبها من خلالها إلا إلى الوهن والضعف، والهلاك الدنيوي والأخروي، فحياة التعلقات بغير الله حياة مظلمة، حياة بئيسة، حياة ملؤها النكد، والهم والغم، وتوالي الأحزان، ولا يزال صاحبها - والعياذ بالله- من تعلق باطل إلى آخر، وتنقلات بين أودية الشرك السحيقة المهلكة

﴿أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾

شتان بين ذاك الذي قلبه ممزق، وبين من اجتمع قلبه لا يدعو إلا الله، ولا يلجأ إلا إلى الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يفزع إلا إلى الله، ولا يفر إلا إلى الله، ولا يذبح إلا لله ولا ينذر إلا لله، ﴿قُل إِنَّ صَلاتى وَنُسُكى وَمَحياىَ وَمَماتى لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ﴾، يعلم أن الأمر كلّه بيد الله وأن الله -سبحانه وتعالى- مالك يوم الدّين، ومالك الخلق أجمعين، وهو المتصرف، المدبر، المعطي، المانع، الخافض، الرافع فلا يلجأ إلا إلى الله، فإذن الضد يظهر حسنه الضد (وبضدها تتبين الأشياء).

هذا النظر يُكسب الإنسان معرفة بمكانة التوحيد ومنزلته العظيمة مثل ما أن الإنسان إذا رأى المرضى أدرك الصحة التي يعيشها وأنعم

الله -سبحانه وتعالى- عليه بها فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء.

يقول - رحمه الله -: (فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة ، ويومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك محمد ﷺ) وكان نبينا -عليه الصلاة والسلام- من هديه في كل صباح أن يقال **«أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص ودين نبينا محمد -ﷺ- وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين».**

وهذا الذكر المبارك يُنصح كل مسلم أن يقوله كل صباح، خاصة في زمان تلاطم الفتن وكثرة الشبهات، وأدعياء الباطل الذين يروجون للباطل كل يوم إذا أصبحت تأتي بهذا الذكر **«أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص ودين نبينا محمد -ﷺ- وعلى ملة أبينا**

إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين» وتأمل في المعاني والدلالات وحقق التوحيد وأخلص الدين لله سبحانه وتعالى.

يقول: (**فتأمل لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك محمد - ﷺ- فتحشر معهما**) يا ربنا نسألك أن نحشر مع إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

يقول -رحمه الله-: (**ولا تصد**)

[الصدود]: الإعراض، لا تصد عن الحق تتلى عليك الآيات من كلام الله والأحاديث البينات من كلام رسول الله -ﷺ-، لا تصد، كيف يصد الإنسان عن كلام الله أو يعرض عن كلام رسول الله ﷺ.

(**ولا تصد عن الحق فتصد عن الحوض**) أي: عن الحوض المورود يوم القيامة لأن أناسًا يذادون يوم القيامة عن الحوض فيقول النبي -ﷺ- : **«أُصيحابي أُصيحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

فليحذر الإنسان الصدود عن الحق، لا ينفعه أن يقول هكذا وجدت آبائي أو هكذا علمني شيوخي وما يدريه لعلهم شيوخ ضلال فإذا كان قولهم يصادم القرآن ويصادم أحاديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا يصد عن القرآن، يقول -رحمه الله-: (ولا تصد عن الحق فتصد عن الحوض يوم الدين) أعجب ما يكون في هذه الدنيا أن أناسًا يزعمون أن الصحابة أصحاب النبي خير الأمم يُصدون عن الحوض! يزعمون ذلك، وهؤلاء الزاعمين بأن الصحابة يُصدون عن الحوض متلوثين بالشرك وعبادة غير الله، ويقولون أن الصحابة يصدون عن الحوض. فيا سبحان الله! يا سبحان الله! يا سبحان الله! كيف هذا الاعتداء القبيح المشين على خيار الأمم، وفي الوقت نفسه لا يدرك الهلكة التي هو يعيشها والضياع الذي يعيشه، والتعلقات الباطلة التي يعيشها، والعياذ بالله، (ولا تصد عن الحق فتصد عن الحوض يوم

الدين كما يصد عنه من صد عن طريقهما) أي: طريق نبينا محمد والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام.

ثم يُذَكر الشيخ -رحمه الله- وهو رجل ناصح يذكر بالمرور على الصراط يقول: (ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة، ولا تزل عنه) ينصب يوم القيامة صراط على متن جهنم، وصف في الحديث بأنه أحد من السيف وأدق من الشعر، ولا طريق إلا من فوقه -إلا من فوق ذلك الصراط-، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَإِن مِنكُم إِلّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتمًا مَقضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظّالِمينَ فيها جِثِيًّا﴾ اللهم اجعلنا منهم: أي المتقين.

المرور هذا ميقن أمر يقين، لكن النجاة ماثَم إلا أن يلطف الله - سبحانه وتعالى-: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوا﴾ فيقول: (ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة، ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما

المستقيم في الدنيا) لأنه زلل بزلل، من زل عن الصراط المستقيم في الدنيا الذي هو صراط إبراهيم الخليل -عليه السلام- وصراط نبينا محمد -ﷺ- من زل عنه زل عن الصراط الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة.

ومن سار على هذا الصراط المستقيم في الدنيا وفقه الله -عز وجل- للسير على الصراط المستقيم المنصوب على متن جهنم يوم القيامة، - بل إن عبور الناس على ذلك الصراط يتفاوت بحسب قوة سيرهم في هذه الحياة الدنيا على الصراط المستقيم- صراط نبينا -عليه الصلاة والسلام- والنبيين، ولهذا بعضهم يمر كالبرق، وبعضهم كأجاويد الخيل وبعضهم كركاب الإبل، وبعضهم يمر جريًا، وبعضهم يمر مشيًا، وبعضهم يمر زحفًا، وآخرون يكردسون في النار عياذًا بالله من ذلك.

فيقول - رحمه الله -: (ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة ، ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا) ثم يقدّم هذه النصيحة الثمينة، يقول: (فعليك بإدامة دعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع) عليك بإدامة دعاء الفاتحة ﴿اهدِنَا الصِّراطَ المُستَقيمَ﴾ أدم هذا الدعاء واستحضر دائمًا كل مرة تقرأ الفاتحة أنك تدعو الله -سبحانه وتعالى- بهذه الدعوة العظيمة.

قال: (مع حضور قلب وخوف وتضرع) وهذا من أسباب قبول الدعاء «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**».

بل يكون الإنسان بقلب مقبل ومتضرع وخائف يرجو النجاة ويخاف من عذاب الله -سبحانه وتعالى- يا رب يا رب.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:

(وأما قوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ فالعبادة كمال المحبة وكمال الخضوع ، والخوف والذل، وقُدِّم المفعول وهو ﴿إِيّاكَ﴾، وكرّر للاهتمام والحصر أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالأول تبرءٌ من الشرك، والثاني تبرءٌ من الحول والقوة فقوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ أي إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهد ربك أنك لا تشرك به في عبادته أحدًا، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا غيرهما، كما قال للصحابة: ﴿وَلا يَأمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيّينَ أَربابًا أَيَأمُرُكُم بِالكُفرِ بَعدَ إِذ أَنتُم مُسلِمونَ﴾

فتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك في الربوبية ، أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان، فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل كفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها مع تاج وأمثاله؟

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه أمران أحدهما سؤال الله إعانتي وهو التوكل والتبرء من الحول والقوة وأيضًا طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد).

الشرح:

قال -رحمه الله تعالى-: (وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالعبادة كمال المحبة وكمال الخضوع ، والخوف والذل).

هذا تعريف للعبادة بمدلولها الشرعي [فالعبادة]: عبادة الله -عز وجل-، كمال حب الله -عز وجل- مع كمال الذل والخضوع لله، والتعظيم له -سبحانه- والخوف منه فهذه هي العبادة.

[العبادة] حب لله وخوف منه وذل بين يديه جل وعلا.

وقوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ ينبه الشيخ -رحمه الله- على فائدة ثمينة، يقول: (وقُدِّم المفعول وهو﴿إِيّاكَ﴾) من أجل ماذا؟ من أجل الحصر ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ هي في قوتها بقوة نعبدك ولا نعبد غيرك لأن هذا أسلوب حصر

﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ أي: نعبدك يا الله ولا نعبد غيرك.

﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ أي: نستعين بك ولا نستعين بغيرك.

هذا أسلوب من أساليب الحصر فيقول: (وكُرر للاهتمام) أي : قال: ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ لم يقل {إياك نعبد ونستعين} وإنما قال: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ اهتمامًا بهذا المقام؛ مقام الإخلاص لله عز وجل.

والحصر أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، هذا معنى ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ أي: نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين يرجع إلى ما دل عليه قوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ حتى قال الحسن البصري "أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع علمها في الأربعة وجمع علم الأربعة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في أم القرآن وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾.

﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ جمعت الدين كله، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

قال: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ **لماذا كان الدين كله يرجع الى هذين المعنيين؟** لأن الدين الذي هو الغاية التي خُلقنا لأجلها عبادة

الله -سبحانه وتعالى- جاءت في قوله: ﴿إِيّاكَ نعبُدُ﴾ ثم تَحَقُق هذه الغاية لابد له من وسيلة، لا تتحقق هذه الغاية إلا بها جاءت في قوله: ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ فإذن لا قيام بالدين إلا بهما ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ إخلاص الدين، وإخلاص العبادة كلها لله، وأيضًا إفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالاستعانة فلا يستعان بغيره ﴿فَاعبُدهُ وَتَوَكَّل عَلَيهِ﴾، «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**».

يقول - رحمه الله -: (فالأول - أي ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ تبرء من الشرك، والثاني - أي ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ تبرء من الحول والقوة) أيضًا هذه فائدة ثمينة ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ فيها التبرء من الشرك ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ أي: نعبدك ولا نعبد غيرك.

بالله عليكم شخص يتلو ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ ثم بعدها بقليل يمد يديه ويقول مدد يا فلان، أدركني يا فلان، أنا عائذ بك يا فلان، إن لم تأخذ

بيدي من الذي يأخذ بيدي، هل حقق ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ الذي هو البراءة من الشرك ؟! لا والله.

﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ براءة من الشرك إخلاص للدين، وسيأتي كلام للشيخ يقول هذا عهد بينك وبين الله أنت تعاهد الله معاهدة متكررة أنك تعبد الله ولا تعبد غيره، فأين ذاك الذي يمد يديه ويقول أدركني يا فلان .. إلخ؟!

حتى أحد الدعاة أخبرنا مرة أنه سمع شخصًا وهو ساجد يقول مدد يا فلان وهو ساجد يستغيث بغير الله، لا بد أنه قرأ في صلاته تلك ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾، أين هو من ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾؟! وهو في سجوده يقول مدد يا فلان؟!.

فهذه عهد بين الإنسان وبين الله أن يعبد الله ولا يعبد غيره، يخلص دينه لله -سبحانه وتعالى-، فقوله: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ أي إياك نوحد،

ومعناه أنك تعاهد ربك أن لا تشرك به في عبادته أحدًا، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا غيرهما، هذا عهد بينك وبين الله وعهد متكرر في اليوم والليلة، كم مرة تعاهد الله فرضًا بهذا العهد؟ سبع عشرة كل يوم وليلة تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾ هذا الذي يقول في اليوم والليلة سبع عشرة مرة ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾ يعاهد الله ثم يستغيث بغير الله مدد يا فلان أين هو من هذا العهد الذي يعاهد الله عز وجل عليه هذا العهد المتكرر؟!.

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾ براءة من الشرك وهو تحقيق «لا إله إلا الله»، لأن «لا إله إلا الله» تحقيقها ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾.

﴿وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ براءة من الحول والقوة فهو تحقيق «لاحول ولا قوة إلا بالله» وهذه أيضًا فائدة مهمة.

«لا إله إلا الله» تحقيقها: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾

«لاحول ولا قوة إلا بالله» تحقيقها: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن لا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة إذا نادى المنادي للصلاة {حي على الصلاة، حي على الفلاح} أنت تطلب من الله أن يعينك فماذا تقول؟ «لاحول ولا قوة إلا بالله»، طلب عون فهي كلمة استعانة.

فيقول - رحمه الله -: **(فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهد ربك أنك لا تشرك به في عبادته أحدًا، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا غيرهما)** حتى الأنبياء؟ نعم حتى الأنبياء لأن العبادة لله وحده لا يجوز أن يطلب من الأنبياء ما لا يطلب إلا من الله.

مثلًا يقول قائل مدد يا رسول الله، أدركني إلى غير ذلك هذا لا يطلب إلا من الله ولهذا جاء بالآية -رحمه الله- قال **(كما قال -أي الله- للصحابة: ﴿وَلا يَأْمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرباباً﴾)** وقد ذكر أهل العلم في كتب التفسير ومنهم ابن كثير أن هذه الآيات

نزلت لما أخذ النبي -ﷺ- يدعو إلى التوحيد حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا؟ أو كما قال فقال رسول الله -ﷺ-: «**معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني**».

ونزلت هذه الآيات ومنها قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ النبي -ﷺ- لا يدعو إلى أن يعبد ولا يدعو إلا لعبادة الله الواحد القهار كل دعوته دعوة لإفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة وإخلاص الدين له.

يقول -رحمه الله-: (فتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك في الربوبية أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان) شخصان في ذلك الزمان كان الناس يتواردون على التعلق بهما وعبادتهما والذبح لهما وغير ذلك من العبادات.

يقول: (أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان؛ فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل كفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله؟) مرة ثانية (إذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل كفروا بعد إسلامهم).

من أين أخذ هذه الجملة؟ من الآية قال: ﴿وَلا يَأمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيّينَ أَربابًا أَيَأمُرُكُم بِالكُفرِ بَعدَ إِذ أَنتُم مُسلِمونَ﴾ أي: اتخاذ النبيين أرباب كفر بعد الإسلام فلا يأمر به -ﷺ- ولا يرضاه، بل دعوته كلها في محاربته، فإذا كان الصحابة لو

يفعلونها مع الرسول أو مع الرسل كفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها مع تاج وأمثاله؟!

يتخذونهم أرباب بالعبادة بالدعاء بالذبح، بالنذر إلى غير ذلك، وهذه أشياء موجودة حتى زماننا هذا، يعنى قبل أيام أحد الأشخاص - وفقنا الله وإياه لكل خير- يحدثني عن واقع هو وأهل بلده في يوم ما من السنة يقول: نذهب إلى قبر وسمى لي شخصًا في بلده زعم أنه ولي من الأولياء قال: نجتمع عند قبره كلنا ونذبح له، وأنت الآن يقول: تحدثنا عن التوحيد هل هذه الأشياء تخالف التوحيد؟ هذا كان سؤاله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ونبينا - ﷺ- يقول: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

يعيشون ضياع، مرة أحد الأشخاص حدثته بهذه المعاني من هذه الآيات كان يدعو وسمعته بنفسي وهو يبكي في دعاءه، يستغيث

بالرسول -ﷺ- فأخذت أقرأ عليه آيات وآيات وأحاديث في هذا الباب، كأنه لأول مرة يسمعها فلما سألته قال: "أنا من بلد كذا ما أحد قال لي الكلام هذا!" يعني هذه الآيات آيات التوحيد ما تبين له ربما يكون هناك أشخاص في بلده يذكرون له أحاديث ضعيفة وموضوعة، وقصص وأخبار، حتى يوقعونهم في مثل هذه التعلقات وتلك الأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان.

قال وقوله: (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه أمران) يعني يستفاد من هذه الآية أمران ما هما؟ أحدهما سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبري من الحول والقوة.

الأمر الثاني: طلب الإعانة من الله

إذن قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها أمران:

- الأمر الأول: التبرء من الحول والقوة بقولك ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ تتبرأ من حولك وقوتك أنك لا حول لك ولا قوة، ليس إلا عون الله لك فهذه الفائدة الأولى

- الفائدة الثانية: طلب العون ﴿وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾، أنت تطلب العون من الله –سبحانه وتعالى– ويقول (كما مر أنها من نصف العبد)، لأن هذه آية واحدة ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾هذه آية واحدة مقسومة بين الرب والعبد، أولها للرب ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ وآخرها للعبد سؤال وطلب من الله –سبحانه وتعالى– أن يعينك لما خلقك لأجله وأوجدك لتحقيقه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–:

(وأما قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه، والإلحاح عليه أن يرزقه هذا

المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله -ﷺ- بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

والهداية ها هنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح، على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله).

الشرح:

قال: (وأما قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله) ومر معنا في الحديث «**ولعبدي ما سأل**» هذا دعاء وهو مستجاب لأن الله قال: «**ولعبدي ما سأل**» فهذا فيه أن هذا دعاء مستجاب.

يقول: (هذا الدعاء الصريح الذي هو حظ العيد من الله وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم)، إلحاح وطلب من

الله أن يرزقه هذا المطلب العظيم (**الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه**)، ولهذا قال العلماء: أفضل الدعاء هذا الدعاء الذي في سورة الفاتحة، أفضل الدعاء على الإطلاق، أفضل ما تسأل الله -سبحانه وتعالى- هذا المطلب العظيم الذي في سورة الفاتحة، تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، إذن هو أفضل مطلب وأعظم مقصد، كما من الله على رسوله -ﷺ- بعد الفتح بقوله: ﴿**وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾؛ والهداية ها هنا التوفيق والإرشاد.

[الهداية] ها هنا هي هداية التوفيق، أن يوفقك الله، وأن لا يخذلك، أن لا يكلك إلى نفسك، [التوفيق] هو أن تكون مسددًا محفوظًا بحفظ الله ممدًّا بعون الله في عبادته في طاعته في البعد عن ما نهاك عنه، فهذا هو التوفيق، التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، أن لا يكلك إلا إليه -

سبحانه وتعالى-، ومن الدعاء المأثور «ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

قال: (والهداية ها هنا التوفيق والإرشاد)؛ أي: هداية الله -سبحانه وتعالى- عبده لسبيل الرشاد، وجعله من أهله، (فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله) سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم يتضمن معانى كثيرة، أشار الشيخ -رحمه الله- إليها، عندما تقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هذا يتضمن أنك تسأل الله أن يعلمك العلم النافع الذي تهتدى به، الهداية إلى الصراط المستقيم تتضمن أنك تسأل الله أن يمن عليك بالتوفيق للعمل الصالح؛ لأن من الناس من يعلم ولا يعمل، من أيضًا المعاني الداخلة هنا أنك تسأل الله أن يثبتك على ذلك، من

المعاني الداخلة هنا أنك تسأل الله أن يزيدك من معاني الإيمان وحقائق الدين، من المعاني الداخلة هنا أنك تسأل الله أن يجنِّبك الفتن والأمور التي تصرفك عن الصراط المستقيم، فهذه دعوة يدخل تحتها معاني عظيمة جدًّا، ولهذا يقول: (فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله).

فهذه كلها داخلة تحت قولك ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- "ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة؛ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه شر لا في الدنيا ولا في الآخرة ". اللهم اهدنا جميعًا إليك صراط مستقيمً.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(والصراط: الطريق الواضح، والمستقيم: الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله -ﷺ- وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله -ﷺ- وأصحابه، وأنت دائمًا في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم؛ وعليك من الفرائض أن تُصَدِّق الله أنه هو المستقيم، وكلما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم؛ بل معوج، وهذه أول الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب؛ وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلًا، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله -ﷺ- على الحق وأن ما خالفه باطل؛ فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم كما قال -تعالى- : ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾).

يقول -رحمه الله-: **(والصراط: الطريق الواضح)** الصراط هو الطريق الواضح، **(والمستقيم: أي الذي لا عوج فيه)** الصراط هو الطريق الواضح، والمستقيم أي الذي لا عوج فيه، **(والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ)**، قال الله -تعالى-: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، وفي الحديث: أن النبى -ﷺ- خط خطًّا مستقيما وخطّ على جنبتيه خطوط، وقال: «**هذا صراط الله المستقيم، وهذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وفي الحديث الآخر يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران -انتبه للمثل-، وعلى جنبتي الصراط سوران -يعني جداران- وفي السورين أبواب، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع من أول الصراط يدعو: "يا عباد الله**

ادخلوا الصراط ولا تعوجوا"، وداع من جوف الصراط أو من فوق الصراط يقول: "يا عبد الله لا تفتح الباب، فإنك إن فتحته تلجه. قال: أما الصراط: فهو الإسلام، وأما السوران: حدود الله، وأما الأبواب التي عليها ستور مرخاة: محارم الله -طرق وأبواب تدخل على الحرام- ، وأما الداعي في أول الصراط: كتاب الله، وأما الداعي الذي يدعو من جوف الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

يقول -رحمه الله -: (والمراد بذلك -يعنى بالصراط- الدين الذي أنزله الله على رسوله -ﷺ-، وهو صراط الذين أنعم عليهم). قال: الصراط هو الدين، مثل ما مر معنا في الحديث، قال: «أما الصراط فهو الإسلام»، فالصراط هو دين الله الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم دينا سواه، وهو صراط الذين أنعم عليهم، أنت عندما تدعو بهذه الدعوة تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ﴾ فتسأل الله أن يهديك إلى هذا الصراط المستقيم الذي هو دين الله، دين ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾

قال: (أنعم الله عليهم؛ وهم رسول الله -ﷺ- وأصحابه)، عندما نتحدث عن الإسلام الذي بعث به -عليه الصلاة والسلام- وختمت به الرسالات، ولا يقبل الله دينًا سواه بعد مبعث نبينا -عليه الصلاة والسلام- الصراط المستقيم: هو الإسلام الذي كان عليه الرسول -ﷺ- وأصحابه، ولهذا قال مالك - رحمه الله - عندما تلا قول الله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قال - رحمه الله -: "ما لم يكن دينا زمن محمد - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لن يكون دينا إلى قيام الساعة".

الدين، الإسلام، الصراط المستقيم: هو الذي كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- ولهذا - أظنه - ابن مسعود سئل عن الصراط المستقيم ما هو؟ قال: "هو حبل تركنا النبى -ﷺ- في أدناه ونهايته في الجنة" أو كلامًا هذا معناه.

فالصراط المستقيم هو الدين الذي ترك أمته عليه، تركهم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، فالصراط المستقيم هو الإسلام، وهو الذي كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- والصحب الكرام، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وأنت دائما أيها المسلم في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم؛ لأنّك تقول في كل ركعة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأنت في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريق النبي -ﷺ- وطريق الصحابة، كل ركعة تدعو الله بهذا، يقول الشيخ: -انظر الاستنتاج-

(وعليك من الفرائض أن تُصدق الله أنه هو المستقيم) (عليك من الفرائض) فرض عليك أيها المسلم أن تُصدق الله أن طريقهم؛ يعنى طريق النبي -عليه الصلاة والسلام- وطريق الصحابة هو المستقيم، فرض عليك، يجب أن تصدق بذلك، أنت في كل ركعة تسأل الله أن يهديك طريقهم، وعليك من الفرض الذي يجب عليك أن تُصدق الله أن طريقهم هوالمستقيم، إذا كان طريقهم هو المستقيم فالطرق الأخرى التي نشأت ماذا تكون؟ والمخالفات التي جاءت فيما بعد ووجدت ماذا تكون؟ أنت في كل صلاة تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي : صراط النبي - ﷺ- والصحابة، إذن يجب أن تُصدق الله أن صراط النبي -ﷺ- وصراط الصحابة هو المستقيم ، إذن ما خالفه ماذا يكون؟ يكون من

السبل التي على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فوجب على الإنسان أن يحذر.

يقول: **(وعليك من الفرائض أن تصدق الله أنه هو المستقيم)**؛ **(أنه)** أي : طريق النبي -ﷺ- وطريق الصحابة هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، هذا يعتبر ميزان، ميزان، قسطاس قويم، متى ما كان معك هذا الميزان -بإذن الله- لن تضل؛ شخص دعاك إلى عملٍ من الأعمال، ذكر من الأذكار، عبادة العبادات، أول ما تسأله تقول له ماذا؟ هل عليه هدي من فعل النبيﷺ؟ من حديثه؟ من فعل الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- أو ليس عنده؟

قال لك: أنا عندي رؤيا منامية مثل فلق الصبح، ما عنده لا آية ولا حديث ولا غير ذلك، يقول أنا عندي رؤيا منامية، أو يقول أنا عندي

قصة مؤثرة أو يقول جربنا وجرب غيرنا، أو غير ذلك من الأشياء التي تستعمل الآن، أدلة يستدلون بها على أعمال وأعمال، تقبل ذلك؟

إذن لم تفهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ولم تحقق العمل بـ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

يقول -رحمه الله-: **(عليك من الفرائض أن تُصدق الله أنه هو المستقيم، وكلما خالفه من طريق، أو علم، أو عبادة، فليس بمستقيم؛ بل معوج، وهذا أول الواجبات من هذه الآية)** أول ما يجب عليك من هذه الآية أن تعتقد أن الصراط المستقيم هو الذي كان عليه النبي -ﷺ- وأصحابه، وكل ما خالفه معوج، مهما قال عنه أربابه وأصحابه.

(واعتقاد ذلك بالقلب) أيضًا تعتقد ذلك بقلبك؛ أن كل ما خالف هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- فهو طريق معوج.

ثم أيضًا (وليحذر المؤمن من خدع الشيطان)؛ الشيطان له خدع، وله مصائد، وله حبالات، وابن القيم -رحمه الله- له كتاب نفيس في هذا الباب «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، مصائد الشيطان هي خدع الشيطان، يضع للإنسان في طريقه مصائد وحبالات، ويضع لهم شَرَك، وفخوخ حتى يبعدهم عن الصراط. وفي الدعاء: «أعوذ بك من شر الشيطان وشَرَكِهِ» في رواية أي: مصائده وحبالاته، التي يضعها حتى يبعد الناس عن صراط الله المستقيم.

قال: (وهو اعتقاد ذلك مجملًا)، **ما هي خدعة الشيطان هنا؟**

قال: (وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا) يقول لك يكيفك أن تعتقد إجمالًا أن الصراط المستقيم هو الذي كان عليه النبي -ﷺ-، أما التفاصيل خذ راحتك، المهم أنك اعتقد أنت اعتقاد إجمالي أن الصراط المستقيم هو الذي كان عليه النبي -ﷺ-

لكن الأعمال وتفاصيل الأعمال، يقول لمن يغويه اعمل ما شئت، المهم اعتقد إجمالا أن هدي النبي -ﷺ- هو الحق وهو الهدى.

ولهذا تجد في الناس من يقول إن هدي النبى -ﷺ- خير الهدي، ولكنه ما يصلي، موجود ولا لا؟ ما يقول هديه باطل، يقول هدي النبي -ﷺ- خير الهدي، لكن ما يصلي، لا يصلي، أو يتهاون بالصلاة، اذا كنت تعتقد أن هديه خيرالهدى فهو -عليه الصلاة والسلام- يقول عن الصلاة: «**من حافظ عليها كانت له نورًا، وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع قارون وفرعون، وهامان وأبي بن خلف**».

لا يكفي فقط أن يقول: هديه خير الهدي ثم يترك دينه، ويترك طاعته ويترك اتباعه؛ بل لابد أن يُصدق ذلك العمل، ولهذا يقول الشيخ: (خدعة الشيطان) هنا أن يقول صدق إجمالًا أن هدي النبي -ﷺ-

خير الهدي لكن تفاصيل الأعمال اعمل ما شئت، فهذه خدعة خدع الشيطان بها كثير من الناس.

لاحظ يقول: (وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلًا) هذا من خداع الشيطان للإنسان؛ أن يعتقد مجملًا أن هدى النبي -ﷺ- هو الحق، وهو الصراط المستقيم، لكن في التفصيل ماذا يفعل؟ يترك هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- ويبدأ يمارس من الأعمال الشيء الذي تهواه نفسه وتميل له.

قال: (فإن أكثر النّاس من المرتدِّين يعتقدون أن رسول الله -ﷺ- على الحق وأنّ ما خالفه باطل؛ فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال -تعالى-: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾) أي شيء يأتيهم من أحاديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- تخالف أهواءهم يكذبون

بها، ولا يقبلونها، بل يسخرون بها، ويستهزئون وهذا موجود إلى يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فـ﴿الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ هم:العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، و﴿الضَّالونَ﴾: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارضٌ عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائما مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يُتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله، والله أعلم، هذا آخر الفاتحة.

أما قوله: «آمين» فليست من الفاتحة ، ولكنها تأمين على الدعاء ، ومعناها: اللهم استجب، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله ؛ والله أعلم).

قال -رحمه الله-: (وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فـ﴿الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ هم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، و﴿الضَّالونَ﴾: العاملون بلا علم).

عرفنا -قبل قليل- أن قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أن الُمنعم عليه هو الذي جمع الله له بين العلم بالحق والعمل به ، العلم النافع والعمل الصالح: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾، أي: العلم النافع والعمل الصالح، فمن علم الحق ولم يعمل به غضب الله عليه ومن عبد الله بالجهل وبدون

علم فهو ضال، وكلٌ من هذين السبيلين يتعوذ بالله منهما: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

أي: أعذنا وجنبنا وسلمنا يا الله من هذين الطريقين، طريق المغضوب عليهم الذين يعلمون ولا يعملون، ومن طريق الضالين الذين يعملون بلا علم، قال: فالأول صفة اليهود، الأول يعلمون ولا يعملون قال: (هذه صفة اليهود) مثل ما قال الله في القرآن: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾؛ أي: علموها و﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا به فعندهم علم لا يعملون به فغضب الله عليهم ولعنهم، والضالون النصارى الذين عبدوا الله بالبدع والأهواء والرهبانية التي ابتدعوها ما كتبها الله -سبحانه وتعالى- عليهم.

فيقول: (فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم)،

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، قال: اليهود

﴿ولا الضَّالِّينَ﴾: النصارى

الأمر لا يعنينا ما لنا علاقة بهذا الموضوع هكذا يظن بعض الجهال، قال: يظن هذا الظن وهو يقر أن ربه فارضٌ عليه أن يدعو بهذا الدعاء، فرض الله عليه أن يدعو بهذا الدعاء ثم يظن أن هذا أمر لا علاقة له به وأنه ليس من الممكن أن يقع فيه أو يكون من أهله، يقول: (وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن دعو به دائمًا مع أنه لا حذر عليه منه)؛ يعنى: ما عليه خوف

من هذا الأمر، لا خوف عليه من أن يكون من المغضوب عليهم ولا خوف عليه أن يكون من الضالين هذا معنى قوله: (لا حذر عليه منه) أي: لا خوف عليه من طريق المغضوب عليهم ولا خوف عليه من طريق الضالين.

(ولا يتصور أنه يفعله) أي: لا يتصور أنه يفعل ما عليه اليهود أو يفعل ما عليه النصارى مع أن النبي -ﷺ- قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**».

قال: (هذا من ظن السوء بالله)؛ بأن هذا الفهم السئ يجعل صاحب هذا الفهم يقرأ هذه الآيات ولا يحقق العبودية في الدعاء والطلب والسؤال بأن يجنبه الله -سبحانه وتعالى- طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين؛ لأنه في قرارة نفسه يظن أن هذا أمر لا علاقة له به

وإنما هو شيء وقع فيه اليهود ووقع فيه النصارى كان في ذلك الوقت ولا يكون مع غيرهم،

قال: (والله أعلم، هذا آخر الفاتحة، أما قوله: آمين -أي: بعد قراءة الفاتحة- فليست من الفاتحة، ولكنها تأمين على الدعاء، ومعناها اللهم استجب ، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله)،

يعلم الجاهل أن (آمين ليست من الفاتحة) ليست من كلام الله سبحانه وتعالى وإنما هي تأمين، وقد جاء في الحديث أن النبى -ﷺ- قال: «**إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فقولوا : آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه**»، فهذا يدل على فضل التأمين وعظيم أثره وأن المسلم ينبغي أن يعتنى به لكن التأمين ليس من الفاتحة، وبهذا ختم -رحمه الله تعالى- هذه الرسالة القيمة في

تفسير سورة الفاتحة وله -رحمه الله تعالى- رسالة أخرى جميلة جدًّا مشتملة على مسائل ودروس مستنبطة من سورة الفاتحة.